مجلة البيان – العدد 64 ، ذو الحجة 1413هـ / يونيو 1993م

كلمة صغيرة

تـتـعـرض شعوب العالم الإسلامي لأحداث كبيرة جداً ، وعلى كل المستويات من (التطهير الديني) في البوسنة و الهند إلى الحملة على (الأصولية) والتي هي حملة على الإسلام. وقد أعـددنـا فـي العدد الماضي ملفاً عن مسلمي الهند وانتقلنا في هذا العدد للحديث عن الأدب واللغة العربـيـة حيث المعركة دائرة بين من يريد التدمير باسم الأدب وبين من يراعون حق الكلمة أن لا تكون مصدراً للتخريب.
بعض قراء (البيان) لا يلتـفـتـون إلـى هـذا الجزء من الصراع الذي يريده الأعداء ونرجو أن يكون (الملف الأدبي) بداية اهتمام وتقدير.
المحرر

الافتتاحية

التوحيد والتوحُّد

رئيس التحرير

لماذا يتحلّق أهل الباطل حول باطلهم، ويتعصبون له، ويـؤلـفـون فـي سـبـيـلـه الأحـزاب، ويقيمون له الدعايات ويجمعون الأموال لتنفق من أجله؟
ولماذا يتبع كثير من الناس رؤوس البدع والانحراف، ويستميتون في الذب عنهم، وتجميع الأنصار حولهم؟
إننا نجد هذا لدى كثير من الفرق التي انحرفت، أو خـرجـت عـن سـنن الإسلام ، ونظرة فـاحـصـة إلـى أعـيـاد المبتدعة التي يجتمعون عليها، أو مؤسساتهم المنظمة الـكـبـرى، أو محاولاتهم المتكررة للتغلغل بين صفوف أهل السنة، هي خير دليل على أحوالهم ، وصحة ما يقال عن اجتماعاتهم على الباطل.
لماذا لا نجد مثل هـــذا التجمع ومثل هذا التكتل والالتفاف حول العلماء والدعاة من أهل السنة والجماعة؟ ولماذا لا نجد هذا الحرص البالغ على نشر الإسلام الحق ،والتبشير به؟
سؤال طالما حير أولي الألباب، وفكر فيه المخلصون، وتعجبوا وتساءلوا قائلين : أيقام للبدع سوق وترفع لها رايات ، وأهل السنة عن هذا غافلون؟
الغريب الغريب هو أن أهل السنة ليس لهم قضية، ولا قيادة، والأغرب من ذلك أن خاصة أهل السنة الذين ينادون بمنهج الاتباع ، ويحاربون الابتداع، متفرقون لا تجمعهم وحدة، ولا يعصمهم عن التشرذم تفكير في مصلحة الإسلام ومآل أمر المسلمين..

إن معالجة هذه الأزمة المستعصية بحاجة إلى بيان وبسط لا تحتمله هذه الصفحات، ولكننا نحاول الإلمام بطرف فنقول :
إن أهل البدع والخرافات يجتمعون على بدعهم ورؤسائهم لانعدام تحملهم وتفكيرهم ، وهم الذين تأتي بهم الكلمة والإشارة، ويغويهم دجال من الدجاجلة، ويغريهم بالترخص واتباع الأهواء والشهوات ، والإنسان العاميّ يميل بطبعه إلى المحسوسات والأمور المادية؛ فعندما تقام له النصب ، وتعقد معه الاجتماعات الباهرة، وعندما تدغدع عواطفه بمآس تاريخية؛ لا يلبث أن ينقاد إليها لأنه ليس صاحب علم ينفع أو عقل يردع.
وأما أهل السنة فهم أهل الإسلام ، وقد جاء الإسلام بالتوحيد الخالص ، وأعظم أغراضه محو الشرك ، وعبادة الله وحده ، وليس عبادة الأشخاص أو الأشياء، فلقد جاء الإسلام لإنقاذ الناس من اتباع الشعوذة والخرافة، ودعا إلى التربية الاستقلالية لشخصية الإنسان، وأرشـــد إلى طريق الصواب أولئك الذين يتبعون أهواءهم ، أو يقـتفون آثار الآباء عن جهل وتقليد أعمى، أو يلقون القول بلا علم أو برهان. وكانت الآيات القرآنية تعلّم المسلم النهج الصحيح ، وتوقفه على اضطراب عقائد المشركين وتناقضهم. وهذا المنهج يرفع المسلمين إلى مستوى العلم النافع الصحيح ، الذي يؤدي بدوره إلى اجتماعهم ووحدتهم ، قال الله تعالى داعياً الـمسلمين إلى التفكير في أمر العبادات التي لا تعود على المعبود بنفع أو ضر: ((ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ومَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ))[الذاريات 57] ، وقـــال عن المشركين : ((والَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ))[النحل20- 21] ، ((أَفَمَن يَهْدِي إلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إلاَّ أَن يُهْدَى))[يونس 35]، ((إنَّ الَذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ...))[الأعراف 194] .
كل هذا يدل على أن أهل السنة لا يجتمعون إلا إذا كانوا على مستوى الإسلام، من الفطرة السليمة والتحقق بالتوحيد الخالص ، والعقل الراجح ، والأفق الواسع ومعرفة سنن الله في الخـلــق كما يروى عن الشعبي -رحمه الله- : »إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل والنسك، فإن كان عاقلاً ولم يكن ناسكاً قال: هذا أمر لا يناله إلا النساك وإن كان ناسكاً ولم يـكـن عـاقلاً قال : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلن أطلبه«(1).
إن أصحاب التربية الاستقلالية هم الـذيـن لا تـضـيـق صـدورهـم بالــرأي الاجتهادي ولا يتعصبون لشخص أو لجماعة، وينظرون دائماً إلى المستقبل والمآل ، ويضعون المصلحة العامة فوق مصالحهم وفوق أنانياتهم. والفرد الذي يربى على الفهم الصحيح للـنصـوص لا يكون من دعاة التفرق لأنه سوف يفكر في مصلحة الإسلام ، أما الذي ربِّي تربية ضـيـقـة فهو لا يرى الدنيا إلا من خلال شيخه أو جماعته أو حزبه.

إن أصحاب السياسات الدنيوية يؤلفون أحزاباً ويجمعون لها الجموع وربما ينجحون ، وإن أصحـــاب البدع وأتباع الخرافات يؤلفون تجمعات؛ وقد ينجحون، وما ذلك إلا لأنـهــم اجتمعوا على شيء محدد في أذهانهم، وأما أهل السنة فإذا لم يكونوا على مستوى الإسلام فقد تفوتهم أسباب الوحدة والقوة.

الهوامش:

1- سير أعلام النبلاء 4/307.

مقدمة في التفسير الموضوعي

محمد بن عبد العزيز الخضيري

إن أجلَّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل ، إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيـم حميد فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبـيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها مـا أنـضـبــت مـن معينه شيئاً يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كـنـــوزه ، والـنهل من معينه العذب النمير، ولأجل انكبابهم على دراسته، تنوعت طرائقهم فـي عـرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته، وكان القدح المعلى لعلم التفسير مـن ذلك كله، ولهم في تناول هذا العلم والكتابة فيه أربعة أساليب:

أولاً: التفسير التحليلي :

يتولى فيه المفسرون بيان معنى الألفاظ في الآية، وبلاغة التركيب والنظم، وأسباب النزول، واختلاف المفسرين في الآية، ويذكر حكم الآية وأحكامها، وقد يزيد بتفصيل أقوال العلماء في مسألة فقهية أو نحوية أو بلاغية، ويهتم بذكر الروابط بين الآيـات والمـنـاســبـات بين الـســور ونـحــو ذلك. وهذا اللون من التفسير هو أسبق أنواع التفسير وعليه تعتمد بقيتها، ويتفاوت فيه المـفـسـرون إطناباً وإيجازاً، ويتباينون فيه من حيث المنهج ، فمنهم من يهتم بالفقهيات ، ومنهـم من يهتم بالبلاغيات ، ومنهم من يطنب في القصص وأخبار التاريخ ، ومنهم من يستطرد فـي سرد أقوال السلف ، ومنهم من يعتني بالآيات الكـونـيـة أو الصور الفنية أو المقاطع الوعـظـيـة أو بيان الأدلة العقدية. وبذلك يكون هذا اللون من التفسير هو الغالب على تواليف العلماء وأكثر كتب التفسير على هذا النمط.

ثانياً: التفسير الإجمالي :

وهو بيان الآيات القرآنيــة بالتعرض لمعانيها إجمالاً مع بيان غريب الألفاظ والـربــط بين المعاني في الآيات متوخياً فـي عرضها وضعها في إطار من العبارات التي يصوغها مـن لفظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها، وقد يضيف ما تدعو الضرورة إليه من سبب نزول أو قصة أو حديث ونحو ذلك.

وهذا اللون أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية للقرآن الكريم،وهو الذي يستخدمه من يتحدث بالإذاعة والتلفاز لصلاحيته لعامة الناس ومن أمثلته (تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي).

ثالثاً: التفسير المقارن :

وهـــو بـيـــــان الآيات القرآنية باستعراض ما كتبه المفسرون في الآية أو مجموعة الآيات المترابطة، والموازنة بين آرائهم ، وعرض استدلالاتهم ، والكرّ على القول المرجوح بالنقض وبيان وجهه ، وتوجيه أدلته ، وبيان الراجح وحشد الأدلة وغير ذلك.

رابعاً: التفسير الموضوعي :

وهذا اللون من التفسير هو مجال بحثنا، ومدار حديثنا، ولأجله كتبت هذه الخلاصة:

أولاً: تعريفه :

يتألف مصطلح (التفسير الموضوعي) من جزأين ركبا تركيباً وصفياً فنعرف الجزأين ابتداء ثم نعرف المصطلح المركب منهما.

فالتفسير لغةً : من الفسر وهو كشف البيان ، قال الراغب : "هو إظهار المعنى المعقول ".

واصطلاحاً: الكشف عن معاني القرآن الكريم..

والموضوع لغةً: مــن الـوضـع ؛ وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والخفض ، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان ، تقول العرب : ناقة واضعة : إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح ، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي ، لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده.

أما تعريف (التفسير الموضوعي) علماً على فن معين ، فقد عرِّف عدة تعريفات نختار منها ما نظنه أجمعها وأخـصـــرهـا وهو: علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر..

ثانياً: نشأة التفسير الموضوعي :

لم يظهر هذا المصطلح عَلَمَاً على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري ، عندما قُرِّرت هذه المادة ضمن مواد قسم التـفـسـيـر بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة مـنــذ عهد النبوة وما بعده ، ويمكن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية :

1- تفسير القرآن بالقرآن : لا ريب أن تفـسـيـر الـقـرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته. وجميع الآيات التي تناولت قضية واحـــدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي -صلى الله عـلـيـــه وسلم- يربي أصحابه عليها، فقد روى البخاري أن رسول

الله -صلى الله عليه وسلم- فسر مفاتح الغيب في قوله تـعـالـى: ((وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ))[الأنعام 59] ، فـقـــال : مفاتح الغيب خـمـســة: ((إنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [لقمان 34].

ومن هذا القـبـيل ما كان يلجأ إليه الصحابة -رضوان الله عليهم- من الجـمـع بين الآيات الـقـرآنية التي يُظنُّ بينها تعارضٌ. وقد وضع العلماء بعده قاعدة في أصول التـفـسير تقتضي بأن أول مــا يرجع إليه المفسر القرآن الكريم ، إذ ما أجمل في مكان قد فصل في آخر، وما أطــلــق فـي آيـــة إلا قد قيد في أخرى، وما ورد عاماً في سورة، جاء ما يخصصه فـي سورة أخــرى، وهــذا اللون من التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله.

2- آيات الأحكام : قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض ، وذكروا ما نص عليه ومــــا استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية، ونحو ذلك ، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي.

3- الأشـبــاه والنظائر: وهو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومـحـاولة مـعـرفة دلالاتـهـــا المختلفة، مثال ذلك : كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه حـسـبـما ذكره الدامغاني في كتابه (إصلاح الوجوه والنظائر) ، وهي : المال : كقوله ((إذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إن تَرَكَ خَيْراً)) [البقرة 180] ، والإيمان كقوله : ((ولَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ))[الأنفال 23] ، والإسلام كقوله : ((مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ))[القلم 2] ، وبمعنى أفضل كقوله : ((وأَنتَ خَـيْــرُ الرَّاحِمِينَ))[المؤمنون 109]، والعافية كقوله : ((وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلاَّ هُــــوَ وإن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[الأنعام 17]، والأجر كقوله : ((لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ))[الحج 36]، والطعام كقوله : ((فَقَالَ رَبِّ إنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ))[القصص 24]،، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال كقوله : ((ورَدَّ اللَّهُ الَذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً))[الأحزاب 25]

وهذا كما ترى لون من التفسير الموضوعي ، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن مـوضـــوعات القرآن حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

4- الدراسات في علوم القرآن: اهـتــم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات،لون ينصبُّ على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، كآيات النسخ والقسم والمشكل والجـــدل والأمثال وغير ذلك ، ومؤلفاتهم في ذلك يعز على الباحث حصرها وهي أشهر من أن تذكر.

كل هذه الأمور والحقائق تدلنا على أن التفـسـيـر الموضوعي ليس بدعاً من العلوم أفرزته عقول المتأخرين ، وغفلت عن الاهتمام به أفـهـام الأولين. لكن بروزه لوناً من التفسير له كيانه وطريقته لم يوجد إلا في العُصُر الأخيرة - تلبية لحاجات أهلها - التى وجد فيها من المذاهب والأفكار كما وجد فيها من الآراء والمــوضـوعـات ما اضطر علماء الشريعة إلى بحثها من وجهة النظر القرآنية ليقينهم بأنه الكتاب الــــذي يحوي دراسة وعلاج كل موضوع يطرأ في حياة الناس ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، ((أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ))[الملك 14] .

ومن ثم كثرت الدراسات القرآنية، وأصبحت المكتبة القرآنية تستقبل كل يوم مواداً جديدة من عالم المطبوعات ، ونظرة خاطفة إلى فهارس المكتبة تنبيك بكثرة ما كتب في هذا المجال ، وإن كان في الحقيقة قليلاً على مادة القرآن.

ولشدة عناية الكاتبين بهذا الفن من التفسير قام جمع من الباحثين بخدمة هذا اللون من التفسير بوضع فـهـرســـة للقرآن على حسب الموضوعات منها ما هو في عداد المخطوطات ، ومنها ما طبع ككتاب المستشرق "جون لابوم " والذي عنوانه (تفصيل آيات القرآن الكريم)، وقد ترجمه إلى الـعـربـيـة محمد فؤاد عبد الباقي وترجم المستدرك الذي وضعه (إدوار مونتيه) وخرجا في كتاب واحــد، وهو خطوة أولى في طريق طويل لا بد وأن تجد مستدركاً ومعقباً كعادة ما يكتب أولاً .

ثالثاً: ألوان التفسير الموضوعي :

الأول : أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ، ثم يـجـمــع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية. وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. وقد أصبح كثير من الكلمات الـقـرآنية مصطلحات قرآنية كـ(الأمة، والجهاد، والذين في قلوبهم مرض، والخلافة..)، وهذا اللون كما ترى قد اهتمت به كتب الأشباه والنظائر إلا أنها بقيت في دائرة الكلمة في موضوعها، ولكن يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور، ممـا أبـقـى تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية..

أما المعاصرون فقد تتبعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواطن ، وأظهروا بذلك لوناً من البلاغة والإعـجـــاز القرآني ، وقد كان من نتائجها استنباط دلالات قرآنية بالغة الدقة، لم يكن بمـقـدورهم العثور عليها لولا انتهاجهم هذا السبيل ، ومـمــن اعتنى بهذا اللون من المـعـاصرين الدكتور أحـمـد حسن فرحات في سلسلة سماها (بحث قـــرآنــي وضرب من التفسير الموضوعي) أصــدر منها كتاب (الذين في قلوبهم مرض) ، و(فطرة الله التي فطر الناس عليها)، و(الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية) وغيرها..

الثاني : تحديد موضوع ما ، يلحظ الباحث تعرض القرآن المجيد له بأساليب متنوعة في الـعـــــرض والتحليل والمناقشة والتعليق ، أو تطرأ مشكلة أو

تطرح قضية فيراد بحثها من وجهة نظر قرآنية وهنا نشير إلى عجيبة من عجائب القرآن الكريم المعجزة، تدلنا على أن القرآن دستور حياة، ومنهج عمل ، فيه الشمول والعموم والكمال والبيان.
خلاصتها: أنه ليس بمستغرب أن يجد باحث اهتمام القرآن صريحاً بموضوع معين فيرى جوانب مـعـالجـــة الموضوع ودراسته في القرآن كافية وافية، ولكن الغريب حقاً أن تقترح موضوعاً فتلج إلى عـالــم القرآن كأنما أنزل فيه فيدهشك أن الموضوع قد استوفيت جوانب دراسته في القرآن كأنما أنزل القرآن من أجله.
وطريقة الكتابة في هذا اللون تتم باستخراج الآيات التي تناولت الموضوع ، وبعد جمعها والإحاطة بها تفسيراً وتـأمــلاً يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال ما بين يديه من آيات ، ثم ينسق بــيــن تلــك العناصر بحيث يقسمها إلى أبواب وفصول حسب حاجة الموضوع ويقدم لذلك بمقدمة حول أسلوب القرآن في عرض أفكار الموضوع.
ويكون منطلق العرض والاستدلال والــدراسة هو آيات القرآن الكريم لا غير، مع ربط كل ذلك بواقع الناس ومشكلاتهم ، وإن ذكر شيء من غير القرآن في الموضوع فيذكر من باب الاعتضاد لا الاعتماد.
وعلى الـبـاحـث أن يتجنب خلال بحـثـه التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات ، فلا يـذكـــر القراءات، ووجوه الإعراب ونـحــــو ذلك إلا بمقدار ما يخدم الموضوع ويتصل به اتـصـالاً أسـاسياً مباشراً. والباحث في كل ذلك يهتم بأسلوب العرض لتوضيح مرامي القرآن وأهدافه ومـقـاصـده ، ليتمكن القارئ من فهم الــمـــوضـوع وإدراك أسراره من خلال القرآن بجاذبية العرض الشائق وجودة السبك والحبك ورصانة الأسلوب ودقة التعبيرات ، وبيان الإشارات بأوضح الـعـبارات. وهذا اللون من التفسير الـمـوضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص ، وحتى أن اسم (التفسير الموضوعي) لا يكاد ينصرف إلا إليه ، والمتتبع لهذا يجده جلياً، وسبب ذلك يتلخص في أمرين :
ا - غزارة الموضوعات التي طرقها القرآن وأشبعها دراسة وبحثاً.
2- تجــدد الموضوعـــات والمشكلات التي تحتاج إلى بحث من وجهة نظر قرآنية فالأولون صدروا مــن القرآن ، والآخـــرون وردوا إلى القرآن. وكلاهما بحر و لا ساحل له ، لا تكاد تنتهي موضوعاته أو تقـف عند حد.
3- البحـــث عن موضوع من خـــلال سورة من القرآن بتحديد الهدف الأساسي للسورة أو غيره من الأهداف ودراسته من خــلال تلك السورة. وهذا اللون شبيه بسابقه إلا أن دائرته أضيق.
وطريقة البحث فيه : أن يحدد الـبـاحث الهدف أو الأهداف الأساسية للسورة ثم يختاره أو يختار إحداها إن كانت ثمة أهداف مـتـعددة ثم يحاول إبراز عناصر بحث هذه السورة للموضوع وتـقـسـيـمـهـا وتبويبها، ثم يدرس عـــلاقة كل المقاطع بهذا الهدف بدءاً بمقدمة السورة، وانتهاءً بخاتمتها، مع التعرف

على أسباب نزولها، ومكان نزولها، وترتيبها من بين سور القرآن ويبين علاقة كل ذلك بهدف السورة عنوان البحث ، وسيجد الباحث الصلة بينه وبين الرابطة جلية عند إحالة النظر وإمعان الفكر، وسيعلم أن للسورة هدفاً واضحاً ترمي إلى إيضاحه وبيانه والاستدلال له وبه ، وتفصيل جوانبه وأبعاده ، وكل سورة من القرآن لها شخصية مستقلة تعلم عند البحث فيها، بل ويمكن أن يكون للسورة أهداف متعددة بينها من الترابط والتعاضد والتداخل شيء يصعب معه التفريق بينهما أو إفراد إحداهما بالبحث مع إغفال البواقي.

وليعلم أنه ينبغي عند البحث في هذا اللون ألا ينطلق الباحث في دراسة موضوع السورة من آيات لم ترد فيها، بل يكون منطلقه آيات ومباحث ومقاطع السورة وأما غيرها فتذكر استئناساً لا تأسيساً، وتوكيداً لا تأصيلاً، واستشهاداً لا استناداً.

وهذا اللون ظفر بعناية القدماء بل جاءت في ثنايا تفاسيرهم الإشارات إلى بعض أهداف السورة ومحاولة الانطلاق منها لبيان تفسيرها، كالذي فعله البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). وأما في العصر الحديث فقد أولع به سيد قطب في تفسيره (الظلال) حيث يقدم لكل سورة ببيان أهدافها الرئيسية أو هدفها الوحيد، وينطلق في باقي تفسير السورة من خلال هذا المحور الذي تتحدث السورة عنه، وقد أفردت بحوث كثيرة في هذا اللون من التفسير الموضوعي منها سلسلة (من مواضيع سور القرآن) التي يكتبها الشيخ (عبد الحميد طهماز) وقد صدر منها (العواصم من الفتن في سورة الكهف).

رابعاً: أهمية التفسير الموضوعي :

ويمكن تلخيص أجدر جوانبها في الأمور التالية:

الأول : إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم ، فكلما جَدّت على الساحة أفكار جديدة - من مُعطيات التقدم الفكري والحضاري - وجدها المفسر جلية في آيات القرآن لا لبس فيها ولا غموض بعد تتبع مواطن ذكرها في القرآن، فيسجل عندها سبق القرآن إليها، ويدلل بذلك على كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ودلائل إعجازه.

الثاني : التأكيد على أهمية تفسير القرآن بالقرآن ، الذي هو أعلى وأجل أنواع التفسير، إذ قد يوجد من لا يلجأ إلى القرآن عند إرادة إيضاحه وتفسيره لقصور فيه أو تقصير منه ، وبالتفسير الموضوعي ندرك أهمية هذا اللون من التفسير فتزداد عنايتنا به، وتتعاضد جهودنا لبيانه ، فَنُكفى بذلك الوقوف عند كثير من مشكل القرآن أو مواطن الخلاف بين علماء الأمة في تفسير آياته ، لورود ما يوضح المراد ويشفي العليل ويروي الغليل بالقرآن نفسه.

الثالث : إن تجدد حاجة البشرية، وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. إذ عندما نجابه بنظرة جديدة أو علم مستحدث فإننا لا نقدر على تحديد الموقف من هذا العلم وتلك النظرية وحل المشكلة القائمة، وبيان بطلان مذهب إلا عن طريق تتبع آيات القرآن ، ومحاولة استنباط ما يجب نحو كل أولئك.
إن جمع أطراف موضوع ما من خلال نصوص القرآن والسنة يمكن الباحث من القيام بدور اجـتهــادي للتوصل إلى تنظير أصول لهذا الموضوع ، وعلى ضوء هدايات القرآن ومقاصده نستطيع معالجة أي موضوع يَجدّ على الساحة.
الرابع: إثــراء الـمعلومات حول قضية معينة. غالباً ما يُطرح موضوع أو قضية أو فكرة أو مشكلة للبحث ويبقى أيُّ من ذلك محتاجاً إلى إشباع البحث ومزيد الدراسة، ويتم تحقيق ذلك من خلال التـفـسـيــــر الـمـوضـوعـي بحيث تتبين لذوي الشأن أدلة جديدة، ورؤى مستفيضة، وتفتيق لشيء من أبعاد القضية المطروحة.

الخامس : تأصيل الدراسات أو تصحيح مسارها :

لقد نالت بعض علوم القرآن حظاً وافــــــراً من البحث والدراسة، إلا أن هناك علوماً أخر برزت جديدة تحتاج إلى تأصيل بضبط مسارها حتى يؤمن عثارها مثل (الإعجاز العلمي في القرآن)، فـقـد كثر الكاتبون حوله إلا أنه بحاجة ماسة إلى ضبط قواعده لِيُتَجَنَب الإفراط فـيـــه أو التفريط ، وهذا إنما يتم عبر دراســــــة موضوعية لآيات القرآن وهداياته في هـذا المجال.
وهناك علوم ودراسات قائمة منذ القدم لكن الـمـســـــار الذي تنتهجه يحتاج إلى تصـحـيح وتعديل ، وإعادة تقويم كعلم التاريخ الذي أخذ منهجاً في سرد الوقائع والأحداث من غير تعرض لسنن الله في الكون والمجتمع ، علماً بأن هذه السنن قد أبرزتها آيات القرآن خلال قصصه بشكل واضح ، وهناك انحرافات مبثوثة في كتب التاريخ تخالف ما نص عـلـيـه في القرآن الكريم ، ولن يتم تعديلها وتقويم مثل هذه العلوم إلا بطريق استقصاء منهج القرآن في عرضها ودراستها..

مراجع هذه النبذة :

ا- مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم.
2- دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر عواض الألمعي.
3- الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي للآيات.
4- دراسات في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد السلام محمد.
5- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني للدكتور أحمد جمال العمري.

في إشراقة آية
((وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً))(*)

د. عبد الكريم بكار

قصّ الله -تعالى- علينا في كتابه الـعـزيـز نـبـأ لـقـاء موسى بالعبد الصالح الخضر -عليهما السلام-، وما جرى بينهما من إخبار الخضر لموسى بعدم صبره على ما سيراه من أعماله ، وتعهد موسى بالسمع والطاعة وعدم العجلة حتى يكـــون الخضر هو الذي يخبره بكنه ما يراه وعواقبه ،كما تضمنت القصة عدم تمكن موسى -عليه السلام- من الصبر الذي التزم بمكابدته. وفي ثنايا هذه الواقعة عبر ودروس عديدة نجلوها في النقاط التالية:

1- أراد الله -تعالى- أن يُعلّم موسى وجوب تفويض مـــا لا يـعـلـمـه إلـيـه ؛ فقد ورد في الصحيح أن رجلاً سأل موسى على ملأ من بني إسرائيل : هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا. فأوحى الله إليه : بل عبدنا خضر أعلم منك (1). وفي هذا إرشاد لأولي النهي أن يقفوا الموقف المنهجي مما لا يعرفونه ؛ فنبي الله موسى كان رسولاً من أولي العزم، وهو كليم الله ومبلغ رسالته ، ومع هذا بين الله له وجوب تفويض ما لا يعلمه إليه؛ فهو لم يجتمع بكل البشر، ولم يعرف مقادير ما خصَّ الله به من شاء من عباده.

وفي هذا الزمان تشعبت العلوم ، وتفرغت حتى صار من العسير على الواحد منا أن يحيط بفرع من فروع المعرفة فضلاً أن يحيط بها جميعاً. وأمانة العلم تقتضي الـتـريـث بالـفـتـوى والتحرز من التطاول على ما لا نحسن حتى لا تجتاحنا الفوضى العلمية..

2- في هذه الرحلة المباركة وقف موسى موقف المتعلم ، ووقف الخضر في موقف الأستاذ، مــع أنه لا خلاف في أن موسى أفضل من الخضر، وهذا يدل على أن الأفضلية العامة لا تقتضي التفوق في العلم ، وهذا يحثنا على أن نرجع لأهل الاختصاص في اختصاصاتهم ، وألا نرهق أهل الفضل بالسؤال عما لا يعرفونه ، ولا يحسنونه فيسقطون من أعيننا لعدم معرفتهم ، أو يسقطون ويُسقطوننا معهم إذا ما هم قالوا بغير علم! ورحم الله الإمام مالكاً حين كان يقول : "إن من شيوخي من أطلب منه الدعاء، ولا أقبل روايته ".

3- التزم موسى - عليه السلام - في البداية بالصبر على ما يراه وعدم العصيان حين قال: ((سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً ولا أَعْصِي لَكَ أَمْراً)) [الكهف 69] . وهذا الالتزام كان بـنـاء على ما يعرفه من نفسه من الحرص على طلب العلم ومعرفة الخير. وكان تأكيد الخضر له أنه لن يصبر معه على ما يراه لما يعرف عنه من الحرص والالتزام بما شرع الله من حرمة الأنفس والأموال ،. وكانت النتيجة إنكار موسى على الخضر، كما توقع الخضر. وموقف موسى كان على النهج العام الذي ينبغي على المسلم سلوكه ، وهو إنكار ما

خالف الشرع وعدم السكوت عليه ما دام ذلك ممكناً، ولا يعكر صفو هذا خصوصية الموقف والحادثة(2).
وقد أنكر موسى على الخضر مع علمه بقدره وعلمه لأن المنهج فوق الأشخاص أياً كانوا. وقد ابتليت هـــذه الأمة في تاريخها المديد بأقوام أصيبوا بداء تقديس الأشخاص وإقامة البراهين على خيرية ما يفعلونه وتسويغ ما يرتكبونه من مناكر ومخالفات قطعية التحريم لما يعتقدونه فيهم من الصلاح!. وأدى ذلك إلى غبش عظيم في الرؤية، وقد حطوا من قدر المنهج المعصوم على قدر ما رفعوا من شأن من يعظمون! وما زال هذا مستمراً إلى يوم الناس هذا والله المستعان.
4- كان الخضر موقناً بعدم صبر موسى على ما يراه منه ، وعلل لذلك بقوله : ((وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً))[الكهف 68]. وهذا يشير إلى ظاهرة ثابتة في حياة البشر، هي عدم الصبر على رؤية أحداث وأعمال تخالف ما استقر عندهم من الأعراف والمعايير، أو على بذل جـهـــود لا يرون لها نتائج تنسجم معها. وقد وقف الصحابة - رضوان الله عليهم - موقفاً مـشـهـــوراً من شروط صلح الحديبية التي كانت في ظاهرها مخالفة لمصالح المسلمين ، ولولا أن الذي ارتضى تلك الشروط النبي -صلى الله عليه وسلم- المؤيد بالوحي لكان هناك شأن آخــر. لكــن الله - تعالـى - جـعـل فيها من الخير والبركة ما حمل أكثر المفسرين على القـــول: إن المراد بالفتح في قوله - سـبـحـانـــه -: ((إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً))[الفتح 1] صلح الحديبية(3). وسبب ذلك الموقف أن الصحابة ما كانوا قادرين على إبصار مآلات تلك المعاهدة ونهاياتها.
واليوم نجد رغـبـــة جامحة لدى كثير من الدعاة والعاملين في حــــرق المراحل والقفز فوق الحواجز بدافع من الـصـــدق والإخلاص ، والسبب في ذلك أنهم ما أحاطوا خُبْراً بجوانب العملية التغييرية الـكـبـرى التي يتصدون للقيام بها. ونجد ذلك بشكل واضح لدى الشباب الذين يغلي في دمائهم حب هذا الدين والغيرة على هذه الأمة.
وسبب الاستعجال عند الشباب يعود - في أكثر الأمر - إلى أن كـثـيـراً مــن قادة الدعوات يوهمون الشباب بأن التمكين في الأرض وبسط سلطان الدين هو قاب قوسين أو أدنى، وذلك رغبة في كسبهم وإغرائهم بالعمل الدعوي ، حتى إذا مرت السنين تلو السنين أدرك أولئك الشباب أن الطريق أطــول بكثير مما قيل لهم ، فيؤدي ذلك - عند أية هزة - إلى الإحباط والانزواء والسلبية أو إلى تسفيه القيادات واتهامها بالقصور وتجاوز المرحلة لها ثم الاندفاع خلف قيادات شابة تفتقر في أكثر الأوقات إلى الحكمة والخبرة والعلم والنتيجة معروفة!
وسبب ذلك أن الشـيـوخ ما بصَّروا الشباب بطبيعة طريق الدعوة وتكاليفه ومشاقه ، مع أن النصوص ، الواردة في ذلك كثيرة جداً.

أما الجوانب التي لم نحط بها خُبْراً فهي عديدة، نذكر منها ما يلي :
أ- المنهج الرباني الذي نحمله، منهج مشتمل على أجزاء صلبة راسخة لا يجوز أن تتطور أو يُغض الطرف عن شيء منها كي تؤدي وظائفها في الهداية والإصلاح ، وفيه أجزاء مرنة تـقـبل شيئاً من الموازنة لتحقيق خير الخيرين ودفع شر الشرين ؛ وكل أجزاء المنهج خير، ومطـلـوب التحقق بها ؛ لكن الظرف هو الذي يعطي الأولوية لبعضها على بعض ؛ فأعمال الـخـيـر كـثـيـرة جــداً لكن الحال المعاش يرجح شيئاً على شيء ، فإذا كانت في المسلمين مجاعة كان مجال إطـعام الطعام أولى بالبذل من مجال التنفل بالحج والعمرة، وإذا اجتاح العدو بلاد المسلمين كان تجهيز الـمـقـاتـلـيـن أولـى مــن بناء مسجد أو تأثيث مكتبة عامة وهـكـــذا.. وإذا كان المريض الذي نعالجه يشكو من أمراض عديدة وجب أن نبدأ بالأخطر منها كالنزيف مثلاً .
ب - ومما لم نـحـــط بـه خُبْراً على الوجه المطلوب الواقع الذي نتحرك فيه ، وهو واقع مفعم بالمؤثرات المختلفة حـيــث صار من غير الممكن معالجة أية قضية من قضايانا الكبرى على أنها شأن محلي خاص ، فوسائل الاتصال العجيبة المتاحة وتشابك المصالح وتداخلها ونفوذ الثقافة العالمية، كل أولئك يجعل ما نظنه داخلياً خاضعاً لاعتبارات دولية وإقليمية إلـي جانب الاعتبارات المـحـلـيـــة. وفهم تلك الاعتبارات ما عاد ممكناً عن طريق التأمل والشفافية، وإنما عن طريق الدراسات المتقنة والصلات والعلاقات والمعايشات الداخلية.. وفهم طريقة التفكير لصانعي الخيارات والقرارات.
جـ - ومما لم نحط به خُبْراً الإنسان موضع الدعوة، وهذا الإنسان صار يخضع لمزيج كبير من المؤثــرات الثقافية المتضادة - فـي كـثـيــر من الأحيان - مما يجعل تفكيره مختلفاً عن تفكيره في القرن الماضي ، ومفاتيح اهتمامه أيضاً تبدلت ، والطريق إلى حفز مشاعره صارت أكثر التــواء. ولم يصاحب ذلك التعقيد كله ما يحتاجه من الفهم العميق القائم على معرفة النفس الـبشـرية والسنن الإلهية التي تحكـمـهـا. وآية ذلك جمود خطاب كثيرين منا دون أدنى تحسين او تحوير.
د- ومما لم نحــط بـه خُبْراً سنن الله - تعالى - في تغير المجتمعات ، ذلك التغير الذي لا يتوقف أبداً لكنه لا يخــــرج عن الأحكام والأنظمة الإلهية التي تسيره ، وهو تغير أساسه الحركة البطيئة التي إن تـســـارعت لم تصل أبداً إلى حد الطفرة المناقضة للفطرة. وبما أن عمر الإنسان قصير فهو متشوق أبـداً إلى معرفة نتائج أعماله ومجهوداته قبل أن يرحل عن هذه الدنيا لكن سنن الله - تعالـى - لا تخضع للرغبات والأهواء، ومن ثم فإن الله - تعالى - قال لنبيه : ((وإمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْــضَ الَذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَـتَــوَفَّـيَـنَّــكَ فَإنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ وعَلَيْنَا الحِسَابُ))[الرعد 40]
وإذا كـــان الوقوف على مفاتيح شخصية الفرد صار معقداً، فـإن الــوقـــوف على مفاتيح شخصية المجـتـمــع أكثر تعقيداً ؛ لأن أبناءه ينتمون إلى شرائح

متعددة وكل شريحة منها تخضع لمؤثرات مغايرة، وهذا يجعل التعامل معه غاية في التعقيد!
إن الحل الوحيد لحـــالات الاستعجال على قصف الثمار قبل نضجها هو الإحاطة المبصرة بكل جوانب التغيير المـنـشـــود وآلياته ، وإلا فإن كثيرا من الجهود ستكون جهاداً في غير عدو، بل ستكون أخطر على الدعوة من أعدائها!
إن فقه التحرك بالمنهج أشق مـــن فقه المنهج نفسه ؛ لأنه يقوم على ركائز عائمة، وتراكم الخبرة فيه ضعيف لتنوع أحواله وكثرة خصوصياته. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الهوامش :

(*) الكهف 68.
1- أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء.
2- ورد في البخاري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : يرحم الله موسى لو كان صبر لقصّ الله علينا من أمرهما.
3- فتح القدير.

أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي نـقـد كتابات جودت سعيد (2)

عادل التل

«تهدف هذه الـدراســة إلــى تحـديد المعايير الثابتة وبيان المقاييس الدقيقة لحصر وتمييز أصحاب الاتجاه المادي ، من المفكرين الذين ينطلقون في اتجاههم هذا من خلال العمل في حقل الدعوة الإسلامية، والذين يلجؤون إلى تفسير النصوص الشرعية وفق النزعة المادية، كما تهدف ومن خلال رؤية معاصرة إلى إبراز منهج أهل السنة والجماعة، وعرض طريقة السلف الصالح في مواجهة التحديات الاعتقادية المعاصرة».
رصدت في المقالة السابقة أفكار الكاتب جودت سعيد، من خلال نصوص مختارة من كتبه ورسائله. وسيكون بحثنا هذا حول الحجج التي يعتمدها الكاتب - والماديون من قبله - في تقديم المعرفة الصادرة عن المادة، وسنبحث في موضوع السنن.
اتكأ الكاتب - في تقديمه المادة - عـلـى مـفـهـوم مـراتــب الوجود السائدة عند الفلاسفة والمشهور في الفلسفة، أن الصراع قائم فيها بين منهجين :

ا- المنهج العقلي "المثالي" الذي يقوم على الاعتقاد بأن الـفـكـر هو السابق في الوجود على المادة، ومن ثم يجب تقديم المعرفة الصادرة عن الفكر في كل شيء.
2- المنهج المادي "الوضعي" الذي يقوم على الاعتقاد بأن الـمـــادة هي أقدم من الفكر في الوجود، ولذلك يجب تقديم المعرفة الصادرة عن المادة على كل شيء..
وهذه الأفكار التي يتبناها جودت سعيد، ويدعو إلى التمسك بهـــا تشبه الأفكار الماركسية، وإذا كان الموقف النقدي الشامل يدفعنا لأن نأخذ الجانب التاريخي لهذه الآراء بالحسبان ، فإننا نلمح - وبصورة جازمة - أن تلك الأفكار ترجع في جذورها التاريخية إلى :
ا- منهج الفلاسفة وطريقتهم في الاستدلال.
2- منهج القدرية المعطلة - نفاة القدر - الذين وقفوا إلى جانب الفكر المادي الأرسطي بعد انتقال العدوى في الصراع إلى علم الكلام في ديار الإسلام ، وقالوا بنفـــي الصفات - الذي قالت به المعتزلة والرافضة - وهؤلاء المعطلة يعتبرون أسلافاً لأصحاب الفكر المادي المندسين بين المسلمين.
3- علم الاجتماع الغربي، الـقـائـم عـلـى الـمـذهب الوضعي، والذي نشأ في عصر النهضة الأوربية، وهؤلاء يعتبرون أرسطو وأصحابه أسلافاً لهم.

أولاً: تقديم المادة على العقل والنقل :

اهتم جودت سعيد بتعريف كل مرتبة من مراتب الوجود، وبيان خصائصها(*) ليجعل هذا الأسلوب في الاستدلال ذريعة لتقديم المادة على الـعـقـل والـنقـل، وبـعـد أن استعرض هذه المراتب انتهى إلى القول (1): (فالوجود الخارجي - المادي - هو الثابت الــذي كـلـمـــا اخـتـلـفـنـــا فـي تفـسـيره رجعنا إليه؛ ودققنا النظر والبحث والتعامل معه لنصحح الصور الذهنية). ومنه فإن كل شيء خارج الواقع - المادة - فهو عنده قابل للزيادة والنقصان (2) ولا يجوز الاعتماد عليه ، ويشمل هذا المفهوم النصوص الشرعية (كتاباً وسنة).
ويقول في رسالة اللغة والواقع : "ولكن البدء في الدراسة من كتاب الله دون أن يعترف للواقع ، أنه هو الذي في النهاية سيشهد بمعنى الكتاب وصدقه "(3).

ثانياً: تقديم العقل على النقل :

يحرص جودت سعيد عـلـى تقديم المادة (الواقع) على العقل والنقل - كما رأينا - إلا أنه يقدم العقل على الـنـقـــل أيضاً، لأن هذا التقديم ينسجم مع مفهوم مراتب الوجود الذي اعتمده في تقدم الصور الـذهنية - العقلية - على اللفظ والكتابة، وقد أكثر من النقل عن أبي حامد الغزالي ، وتبني منهجه ، وخاصة قول الغزالي في المنطق اليوناني : (هو مقدمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط به ، فلا ثقة له بعلوم أصلاً)..

ونلاحظ أن جودت سعيد قـــد حذف كلمة "المنطق"(4) من كلام الغزالي لإبعاد الشبهة عن نفسه في متابعة الفلاسفة والمناطقة الإغريق ، والاستمداد من أفكارهم ، والمعروف أن تقديم العقل على النقل يمثل منهج الأشاعرة والـمـعـتـزلـة، ومـــن أجل ذلك بدّل جودت تلك المصطلحات بألفاظ معاصرة، وتُمَثل هذه الفعلة عملية خداع وتمويه خطيرة.

ثالثاً: مصدر المعرفة:

إن قضية مصدر المعرفة في الإسلام محسومة، وهي لا تتفق مع منهج طريقة الفلاسفة ولم مع أسلوبهم ، فأهل السنة والجماعة يقدِّمون القرآن الكريم والسنة النبوية عند التنازع ، ولا يقدمون ما يتوصل إليه عن طريق الحس ولا عن طريق العقل. ولابن تيمية كلام مهم في بيان منهج أهل السنة في موضوع العلم حيث يقول : "طرق العلم ثلاثة : الحس والعقل ، والمركب منهما، كالخبر، فمن الأمور ما لا يمكن عمله إلا بالخبر، كما يعلمه كل شخص بأخبار الصادقين كالخبر المتواتر، وما يعلم بخبر الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - ويمتنع أن يقوم دليل صحيح ، على أن كل ما أخبر به الأنبياء يمكن معرفته بدون الخبر ولهذا كان أكمل الأمم علماً المقرون بالطرق الحسية والعقلية والخبرية، فمن كذَّب بطريق منها فاته من العلوم بحسب ما كذب من تلك الطرق "(5).

وكثيراً ما يحاول جودت سعيد أن يذكر ابن تيمية في موضوع مراتب الوجود، مما يوهم القارئ أن رأيه في هذه القضية يتطابق مع رأي ابن تيمية، ولكن الحقيقة غير ذلك على الإطلاق ، لأن ابن تيمية وأهل السنة جميعاً لا يقدمون على الشرع شيئاً ، فهم يعارضون المعتزلة وغيرهم في تقديم العقل على النقل وكذاك يعارضون تقديم الحس على النصوص ، ولا يبحثون المسألة مع الفـلاسفة أصلاً، ولا من خلال مراتب الوجود، كما أراد جودت سعيد أن يبعث هذا الأسلوب من جديد. ولابن تيمية رأي واضح في هذا المقام ونحتاج أن نذكره لقطع طريق التدلـيس والنقل المبتور الذي اعتاد جودت أن يستخدمه في مثل هذه المواضع، يقول ابن تيمية:"وهو سبحانه عَلِمَ ما في الأذهان، وخلق ما في الأعيان وكلاهما مجعول له ، لكنّ الذي فـي الـخــارج جعله جعلاً خلقياً، والذي في الذهن جعله جعلاً تعليمياً.."(6).

ولابن تيمية كلام صريح في رد الـقـضـيـــة التي يعتمدها جودت سعيد وغيره من الفلاسفة والمتكلمين من خلال مراتب الوجود حيث يقول (7): "والطريق المشهور عند المتكلمين هو: الاستدلال بحدوث الأعراض على حدوث الأجسام ، وقد بينا الكلام على هذه في غير موضع ، وأنها مخالفة للشرع والعقل.. ".

والذي نصل إليه من هذه المقارنة أن طريقة جودت سعيد في تحديد مصدر المعرفة تَتِّمُّ وفق أسلوب الفلاسفة وعلماء الكلام وتخالف منهج أهل السنة والجماعة.

مفهوم السنن

بينا - في الحلقة السابقة- أن جودت يجعل السنن في مقابل النبوة حيث يقول : "من هنا بدأ الاهتمام بالوقائع والتفاهم مع الله بواسطة سننه ، توقفت النبوة لأن النبوة مرحلية وانتهت "(8)!

ما هي هذه السنن التي استبدلها بالنبوة؟

يقول الكاتب : "والناس لا يعرفون السـنـة إلا في الطبيعة، ولا يعترفون بها في الأنفس ، ويعتبرون عالم الأنفس خارج الثبات ، أو خــارج السنة وهذا مناقض لمنهج القرآن ، بل لمناهج المسلمين السابقين - ولقد جاء إلى العالم الإسلامي قصر معنى العلم على الآفاق من المفهوم الغربي "(9).

يفهم من خلال هذا النص أمراً محدداً: أن الكاتب يعتبر مجال السنن:

1- في المجتمع .
2- في الأنفس .
3- في الطبيعة .

والذي يبحث في القرآن الكريم والـسـنــة النبوية وأقوال الصحابة لا تظهر له جميع هذه المجالات ،التي ذكرها الكاتب. قال تعالى : ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً))[الأحزاب 38] ،أي حكم الله فيها. وقال سبحانه أيضاً: ((سُنَّتَ اللَّهِ الَتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ)) [غافر: 85].

وفي كل آية جاء فيها لفظ السنة، كان يدل على أحــد جوانب الدين ، ويكون فيها دعوة للاتباع أو موعظة للاعتبار. وأما في مجال الطبيعة، وفي الدلالة على أحداثها، كان القرآن يطلق على مثل هذه المواضيع لفظ "الآيات" مثل قولــه تعالى: ((وآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ))[يس:37]، وإن ما فعله الكاتب من تعميم مفهوم السنن ليخرج عن إطاره الشرعي، ويقوم بالغاء النبوة والتعامل مع السنن ، فإن هذا يعـتـبــر خـروجــاً عن المنهج الـقـرآنــي ومناقضاً له. وإدراك هذا الأمر من الأهمية بمكان كبير، ولو كان الأمر سـيـبـقــى مـجــرد اصـطـلاح فحسب ، ولا تقوم عليه نتائج أخرى، لما نشأ عليه أي اعتراض. ولكننا نتعامل مع كــاتــب يؤمـن بالمنهج المادي ويعتقد بانتهاء النبوة، وانحسار أهميتها ومن هنا ندرك خطر الخلط في موضــوع المصطلحات ، وأثرها في تعطيل الآيات في كتاب الله ، وتحريفها عن معانيها، واستبعاد العمل بأحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-وإخضاعها للسنن، فعندما يذكر مثالاً للتفريق بين الواقع والقرآن يقول : "القرآن يقول عن القلوب أنها التي تفـقـه ، أي أن القـلـب هو عضو الفهم ، ولكن الواقع ، أي التعامل مع الواقع كشف أن القلب ما هو إلا مضخة، ولا علاقة له بالفهم ، وإنما فقط هذه المضخة تشتغل بسرعة أو ببطء حسب الأوامر التي تصدر إليها، وليس هي التي تصدر الأوامر"(10). وهكذا ندرك خطر هذا التوجه ، وســوء هذا التصرف. ماذا حدث له حتى تجرأ على تكذيب القرآن بهذه الطريقة المزرية؟ إن القرآن لم يقل إن عضو الفهم هو العضلة التي تضخ

الدم - كما يزعم - وإنما هذا افتراء مــن جودت سعيد، وتطاول على كتاب الله لا يتصور. إن الآية التي ألمح إليها هي قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ))[الحج 46]. إن ما صدر عنه في تفسير الآية يعتبر خروجاً على أصول التفسير وإغفالاً لمفهوم اللغة التي نزل بها القرآن ، ولو أنه عــاد - قبل أن يصدر تفسيره الجائر - إلى معاجم اللغة العربية لوجد أن معنى القلب فيها (خالص الشيء وشريفه)، وقد جاء في لسان العرب بأنه قد يعبر بالقلب عن العقل. وقد عرف الـنـبـي -صلى الله عليه وسلم- في بيانه بين القلب والفؤاد حين قال : »أتاكم أهل اليمن هـــم أرق أفئدة وألين قلوباً«(11). وإن كنا غير معنيين الآن في بحث مفهوم القلب والعقل إلا أنــــــه من الضروري كشف عملية التضليل التي يمارسها أصحاب الاتجاه المادي في كتاب الله، من جهة الفصل بين اللغة وآيات الكتاب، ومحاولة إيجاد التناقض بين الكتاب والواقع وقد قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابَ الحَرِيقِ)) [الحج:8-9].

الوجود السنني

يربط الكاتب بين القدر وبين مراتب الوجود فيقول (12): (وإن الوجود الخارجي-المادي - الذي اعتبرناه أساس مراتب الوجود راجع إلى هذا الوجود السنني -القانون-)،أي أن القانون هو القدر.
وقد عبر الكاتب عن القدر - الوجود السنني - بأسلوب آخر حيث يقول : (هذا الوجود السنني ، هو نوع آخر من مراتب الوجود، وربما يكون مدخلاً لتصور الروح ، والله تعالى له الأمر والخلق ، والروح من أمر الله ، ((قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي))[الإسراء 85]، وأمر الله وكلمة الله وسنة الله ، ألفاظ متقاربة في مدلولها، ولكن سنة الله توصف بأنها لا تتبدل ولا تتحول "(13).
يفهم من هذا النص أن الكاتب يجعل السنن في مقام كلام الله وتعبيراً عن قدر الله وأمره في الخلق ، وكأن الله ليس له تدخل في الكون إلا من خلال السنن التي قدرها قبل الخلــق ، وهذا يتفق مع مفهوم المذهب الوضعي الذي يجعل قوانين الطبيعة وسننها المصدر الأساسي للمعرفة، وهذا ما تبناه الكاتب ودعا إليه من خلال فكرة مراتب الوجود. وبما أن السنــة قابلة للكشف والمعرفة، والروح من أمر الله ، فإن الروح سيكون قابلاً للمعرفة والتـصــور، وسيكون - حسب هذا المفهوم - كشف حقيقة الروح قريباً بمتناول الذين وصلوا في مجال العلوم إلى مرحلة الانطلاق وهم - كما يزعم الكاتب - محور موسكو - واشنطن ، وهــــذا التصور يقود إلى انتهاء مفهوم الغيب من الحياة.
وهذه مفارقة كبيرة، وانحراف عظيم في التصور الاعتقادي ، أن نجمع بين أمر الله وكلمة الله وسنة الله ليكون الجميع في متناول المعرفة البشرية - كما يصورها الكاتب - في موضوع الوصول إلى معرفة الروح ، فإن ذلك ينسجم مع

مفهوم المذهب الوضعي المعاصر، بإخضاع كـــل شـــيء للـمـنـهـج التجريبي كما ينسجم أيضاً مع مفهوم القدرية، وذلك بالإشارة إلى استنباط آخر يقوم على هذا التصور، وهو أن الله يتفاهم مع البشر بواسطة السنن - الأنبياء من البشر - وأن الله لا يـتـكـلـم إلا من خلال السنن ، وهذا هو التعطيل الذي كانت عليه القدرية، الذين ينفون الصفات عن الله تعالى(14).
ونستطيع أن نختزل رأيه من خلال معادلة رياضية..
كلام الله = قدر الله = الوجود السنني »المادي« = القانون
كلمة الله = أمر الله = سنة الله!
وبما أن سنة الله قابلة للكشف عنده ، فلا غيب بعد ذلك.. !!

المراجع :

*- تناول جودت سعيد موضوع مراتب الوجـــود في كتابه (اقرأ وربك الأكرم) وخصص ما يعادل خمس حجم الكتاب (47 - 104) لإقرار مبدأ تقديم المادة (الواقع) على كل شيء ، وقد قام بتغيير بعض الألفاظ، فـهـــل يـظــن أن هذا يبعد عنه التهمة في موافقة الفلاسفة والقدرية والمعتزلة على آرائهم؟!
1 - 2 كتاب "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 57.
3- رسالة انظروا 40 - اللغة والواقع ص 9.
4- اقرأ وربك الأكرم ، ص 50.
5- درء تعارض العقل والنقل ، 1/678.
6- مجموع فتاوى ابن تيمية، 16/267.
7-مجموع فتاوى ابن تيمية 16/267
8- رسالة اللغة والواقع ، ص 7.
9- اقرأ وربك الأكرم ، ص 95.
10- رسالة انظروا 40 ، اللغة والواقع ، ص 9.
11- حديث متفق عليه ، البخاري : 388 4 ، مسلم : إيمان 84.
12- اقرأ وربك الأكرم ، ص 91.
13- اقرأ وربك الأكرم ، ص 93.
14- كان أول القدرية الذين ينفون الصفات (الجعد بن درهم) وقد ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بواسط، وقال إنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، وهو بهذا الكلام ، ينكر أن يكون الله قادراً على الكلام مع موسى، وفي هذا مخالفة لصريح القرآن.

خواطر في الدعوة

الأعمال الجماعية

محمد العبدة

كان الجيل الأول من الصحابة - رضــوان الله علـيـهـم - على فهم عميق بمقاصد الإسلام ومراميه في إصلاح البشر، وكانت الأمة يومها في حالـة إنـشـاء وتـأسـيـس وتيقظ واندفاع ، فهي تقوم بالأعمال الحضارية بصورة عفوية تأتي من طبيعة الإسلام نفسه.
في مثل هذه الأجواء قام الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بعمل علمي كبير يؤكد حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "عليكم بسنتي وسنة الخـلـفـاء الــراشدين المهديين من بعدي.. ".
لقد خشي عثمان - رضي الله عنه - من تفرق المسلمين واختلافهم في قراءات القرآن، فعزم على جمعهم على مصحف واحد، وشكل لهذا الأمر لجنة علمية من : زيد بن ثابت، عبد الله بن الزبير، سعيد بن العاص، عـبــد الـرحـمـن بن الحارث بن هشام، وسأل عن أفصح هؤلاء، فقيل له سعيد بن العاص ، فقال : فليمل سعيد وليكتب زيد، وقال لهم أيضاً : "إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلـســـان قريش فإنما نزل بلسانهم ".
وقامت هذه اللجنة بمهمتها - وربما تكون أول لجنة علمية فـي الإسلام - وأرسلت المصاحف إلى الأمصار، واجتمع الناس على مصحف إمام.
أليس هذا عملاً عظيماً، وهو من صميم حضارة الإسلام ، وإن عمل هذه اللجنة يلفت نظرنا إلى ما عليه حال المسلمين اليوم من البعد عن الأعمال الجـمـاعـية والعلمية بخاصة، حيث تجتمع الطاقات وتحشد الجهود، ويستفيد كل واحد من الآخـــر، والسبب في هذا أنه لم تترسخ عندنا المؤسسات العلمية التي تقوم على الجهد المشترك لإخــراج أعمال لا يستطيع الفرد أن يقوم بها، وإن فعل فسيكون إنتاجه ضعيفاً .
إن الـتـخـلـف الحضاري الذي نعيشه والذي ورثناه يبعدنا عن العمل المؤسسي ، فالفردية متأصلة فـيـنــا، ويصـعــب على الفرد أن يشاركه غيره في عمل علمي، لأنه لم يتعود على الحوار والمشاركة، وسماع وجهات النظر الأخرى.
إن الأعمال والجهود الـمتعاونة إذا كانت ضمن منهج علمي واضح ستؤدي إلى نتائج يتفق عليها الجميع.

»عواطفنا.. ليست لنا مطايا«

خالد بن صالح السيف

إن تأسيس رؤيتنا على بـنـيـة عاطفية ظاهرة تناولنا بها جملة من قضايا الأمة المصيرية!! ويبدو أننا لم نفق بعد من سـكـر العاطفة! ونتاج هذا البناء العاطفي المكرّس بائن في الهزائم المتلاحقة والخسران المضطرد لـمـدخــرات الأمة - الإنسان على رأس قائمتها - وما زالت قوافلنا يتقدمها حُداة العاطفة أنفسهم بأصـواتـهـم الشـجية وكأننا نسعى بجهد لاهث لأن نصدّق فينا هذا النعت بأننا: "ظاهرة صوتية فحسب"!! ويـبـدو- ثانـيـة -أن من

يُناصبنا العداء هو- الآخر- يمارس باقتدار إذكاء أُوار عاطفتنا بصورة عكسية يظفر هو كنتيجة لها بإبلنا فيمتطي بعضاً ويدخر بعضاً !! ونحن لا نصدق خبراً فنروح من حـيـنهــا نوسعه سباً وتدور جولة ثانية تعود فيها إليه الإبل والسبُّ لنا ثمن بخس !!
إن مجاوزة الحد في عواطفنا مكمن ضعف أُتينا من خلاله ، كما أن الغلو في الـعـقــل مكمن خـلـل سقطنا من خلاله سابقاً - والتوزير الرافضي والاعتزالي شأنه ليس بسر في الـعـصـــر الـعـبـاسي - والشاطبي (1) يعتبر إلغاء هذا المفهوم قاعدة حيث يقول : "لا يجعل العقل حاكماً بإطلاق ، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع ، بل الواجب عليه أن يقدم ما حقه الـتقـديــم - وهو الشرع -، ويؤخر ما حقها التأخير - وهو العقل -، لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكماً على الكامل لأنه خلاف المعقول والمنقول بل ضد القضية، وهو الموافق للأدلة فلا معدل عنه ، لذلك قيل : اجعل الشرع في يمينك والعقل في يسارك تنبيها على تقديم الشرع على العقل "..
ونحن بإزاء هـــذه الظاهرة العاطفية المؤججة نتساءل : هل ثمة وسطية يُثَبَّتُ فيها طيش العاطفة - بِقِيَم الـعـقـل - مناط التكليف وموطن التكريم لتجيء من بعد النصوص - قرآن وسنة - مهيمنة عليهما في ابتغاء رؤية مؤصلة لا تغيرها المستجدات بقدر ما تستوعب هي المستجد فتوجهه وفق مُرادات النصوص المتكئة على فهوم السلف الصالح.
فـ"مدار الأمر كله على العقل فإنه إذا تم العقل لم يعمل صاحبه إلا على أقوى دليل. وثمرة العقل فهم الخطاب وتـلـمـــح المقصود من الأمر. ومن فهـم المقصود وعمل على الدليل كان كالباني على أساس وثيق "(2)، فـهـل نعي نحن لـنـتـجـاوز البناء على العاطفة الأرضية الهشة، مستأنسين بمواطن ابن الجوزي ، ومنضبطين بقواعد الشاطبي - رحمهما الله تعالى - فحيثيات الاستخلاف والتمكين ليست معادلات عاطفية تعالج إشكالاتها "الجماهيرية" بأرقام مثْبَتّة فلا هي لظهورها أبقت ولا هي لأرضها قطعت !!
بل الاستخلاف والتمكين "وعد حق" ممن لا يخلفه - سـبـحـانه - بيد أنه لمن تتوافر فيه الأهلية بصفاتها المشروطة" ((وَعَدَ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ومَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِـكَ فَــأُوْلَـئِـــكَ هُـــمُ الفَاسِقُونَ))[النور 55] ، فالتمكين من لدن الله متحقق لا محالة إبان الاستواء على الشرط وامتثال واقع النص لا مجرد حفظه وبح الصوت به..
إن أبجـديـــات النصر والغلبة ليست أمان نُشكّل بها مربعات ضعفنا وهواننا على الأمم ؛ وليست تأريخـــاً نستجره - حاضراً - لندغدغ به مشاعرنا ونُحذِّر به جيلاً يُبَحُّ هو الآخر صوته بإنشاد أفـعــال الـمـاضي : "كنّا.. وكانوا... كانت لنا.. وآبائي وأجدادي واسألوا عنا!!" الخ.. منظومة الماضي المجيد الذي مضى

برجالاته صناع تاريخنا الذين نحفل به إلى حد استشرافه ثانية واقـعــــاً نحياه - بإذن الله - إنما النصر والغلبة.. وعد.. كسابقه مشروط : ((إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ))[محمد 7] ، ولن يكون شيء من ذلك بلا قرح يمس الجيل.. ولن يكون بلا ابتلاء ومجاهدة ومصابرة ومن قبل التمحيص :
((ولِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا ويَمْحَقَ الكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ويَعْلَمَ الصَّابِرِينَ))[آل عمران 141-142].
هكذا يجيء النصر وتجيء الغلبة مع جيل النصر وحده ذي الصياغة الفردية على منهج المدرسة النبوية.. لا غير..
وأجدني أخيراً مضطراً إلى أن أجعلك تشاركنا مخاض تجربة شيخنا الأستاذ محمد قطب وهو - أثابه الله - لم يأل جهداً من أمد بعيد وهو يقرر أنه:"برغم كل عواطف الجماهير، وكل حماستهم التي يبدونها حين يذكر الإسلام فهي حماسة عاطفية لا تقيم بناءً حقيقياً.. ولا حركة حقيقية.. إنما تحتاج القاعدة إلى الإنشاء من جديد.. فرداً فرداً حتى يكتمل بناء متماسك كبناء الجماعة الأولى على يد الرسول -صلى الله عليه وسـلـم- ، إلا يـكـن فــي الدرجة فعلى نفس المنهج ، الذي ي هو مجال الأسوة في رسول الله -صلى عليه وسلم- وفي الجماعة التي رباها ليقوم عليها البناء"(3).
ويـؤكـــد مرة أخرى على أن المعركة بين الإسلام وأعدائه ليست معركة سريعة خاطفة بل معركة طويلة شاقة قد تستغرق عدة أجيال : "فينبغي للقاعدة التي تنشأ للقيام بهذا العبء الضخم أن تربى لتكون طويلة النفس ، شديدة الصبر، عميقة الإيمان بالله ، عميقة التوكل عليه، مـسـتـعـدة لما يتطلبه أمرها من المعاناة وقادرة على أن تبذل من نفسها: من جهدها ومالها ودمها وفـكـرهــا، ما يحتاج إليه إزالة الغربة التي ألمت بالإسلام اليوم ، واستنقاذ "الغثاء" من دوامة السيل واستنباته مرة أخرى راسياً في الأرض عميق الجذور.. "(4).
لست أدري.. بعد أن تشكلنا إلى حد، عاطفياً - ولم نفلح - أتصعب معاودة الصياغة مرة أخرى ضمن ضوابط ما ذكرنا سلفاً؟
الإجابة.. تملكها أنت.. وهــو.. وهــي وهـــــم.. وأنتم ونحن.. في إطار عمليٍّ فاعل منشَؤُهُ استقامة الرؤية :
* قال الحسن البصري: "ما استودع الله أحداً عقلاً إلا استنقذه يوماً ما"(5).
* قال أبو حفص الكبير الشأن: مـن لـم يـزن أحـوالـــه وأفعاله بالكتاب والسنة ولم يَتَّهِم خواطره فلا تعدوه في ديوان الرجال "(6).

الهوامش :

1- الاعتصام للشاطبي 2/327.
2- صيد الخاطر 211،لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي الحنبلي.
3- الصحوة الإسلامية،165-166
4- الصحوة الإسلامية، ص166.

5- أدب الدين والدنيا، ص 2 ، للماوردي.
6- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، 1/ 100 ، لابن قيم الجوزية.

خواطر من عرفات

أحمد بن محمد حسبو

عرفات يا رمز الأمة، والرسـالــــة! عرفات كم وقفت بساحك جموع ، وسالت على ثراك دموع ، وتعارف على راحتيك الناس ، وذابت في محيطك الأجناس ، وبورك منكسر ورُدَّ شديد المراس. كم تعانقت فوقك قـلــوب ، وفــرجت عـلـــى ثراك كروب ، ومحيت أوزار وذنوب. كم امتزجت فيك دموع المذنبين ، وتعانقت أصوات المستغفرين، وتوحدت رغبات الراغبين.. كم تجردت فيك النيات ، وسالت على جنباتك العبرات ، وخشع أهل الأرض لخالق الأرض والسموات.

أيها المسلمون : كم تغلي قلوب أعدائكم حقداً !! وكم عضَّوا أناملهم غيظاً وحسداً!! ((مَا يَوَدُّ الَذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ ولا المُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّــن رَّبِّكُمْ))[البقرة 105]. هــم يريدون أن يقطعوا دابر الدين كي تخور القوى، ويُتَبع الهوى، وتَعُمُّ البلوى. كي لا يعز دين ، ولا يقوى يقين ، ولا يتم تمكين. كيف يُضْحِي بأسنا بيننا شديداً. وأملنا في العودة إلى المنبع الرائق بعيداً.

أيها الأحباب: إن الذي أمركم بالتلبية فلبيتم ، وبالحج فحججتم ، وبالوقوف هنا فوقفتم هو الذي قال: ((وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم)) [الأنفال 60]. وتسلحوا لهم بالتقوى فمن أراد غنى بغير مال ، وعزاً بغير جاه ، ومهابة بغير سلطان فليتق الله. فإن الله عز وجل يأبى أن يذل إلا من عصاه.

وتذكروا جيداً وصية نبيكم منذ ألف وأربعمائة عام يوم النحر في منى وهو يقول ويقرر، ويوصي ويحذر: "فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم. ألا هل بلغت؟" قالوا: نعم ، قال : "اللهم اشهد. فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع. فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض " رواه البخاري.

فاذكروا ذلك جيـــداً - واعلموا أن الأمة التي تعمل بالمعاصي وتحيد عن أمر الله تسقط وتنهار، ولستم والله أفضل من سعد بن أبي وقاص - بطل القادسية المبشر بالجنة، السابق إلى الإسلام - ومع كل ذلك هذه وصية عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- له وهو متأهب للمسير إلى القادسية حيث قال له : "يا سعد!"، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله. فـــإن الله عـز وجـل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيئة بالحسنة، يا سعد! إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته. فالناس جميعاً

شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء. الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالتقوى، ويدركون ما عنده بالطاعة"، فكونوا - رحمكم الله - على المؤمنين قلوباً صافية، وعلى أعداء دينكم أسوداً ضارية.
أنسيتم أيها الأحباب غضبة رسولكم حيث أقسم ألا يبيت اليهود بالمدينة وقد أنجز ذلك ، أنسيتم غضبة الهادئ الوديع الساكن أبي بكر حين زمجر وقال : "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه" .
أنسيتم غضبة نور الدين حينما وقع الأقصى أسيراً في أيدي الصليبية فظل حزيناً عابساً ولما سأله سائل : "لم لا تضحك؟" قال : "أستحي من الله أن أبتسم والأقصى أسير في أيدي الأعداء!!"
والآن أيها الأحباب متى تُحَـرِّكُنا مصاحف تُحرق ، ومساجد تُهْدَم ، وأعراض تُنْتَهَك، وأطفال أطهار يداسون بالأقدام، ودموع في عين القدس وكشمير والبوسنة والهرسك وارتيريا والصومال وغيرها.

رُبَّ وامعـتصـماهُ انطلقـت مِـلءَ أفواهِ الصبايا اليُـتَّـمِ
لامستْ أسماعَـهُـمْ لـكـنَّـها لم تـلامِـسْ نخْـوةَ الـمـعـتـصمِ

نريدها أمة جادة في القول والـعـمـل ، إن قالت فبعلم ، وإن سالمت فبعلم ، وإن حاربت فبعلم ، وإن قررت فبعلم ، ليست عـابـثة، ولا لاهية، ولا غافلة.
يقول يحيي بن معاذ -رحمه الله- : "القلوب كالقدور تغلي في الصدور، ومغارفها ألسنتها. فانتظر الرجل حتى يتكلم فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه ، من بين حلو وحامض وعذب ومالح. يخبرك عن طعم قلبه اغتراف لسانه".
روى البخاري عن عدي بن حاتم الطائي - رضي الله عنه - قال : "وفدت في وفد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل يدعو رجلاً رجلاً ويُسميهم، فقلت:أما تـعـرفـني يـا أمـيـر المؤمنين؟ قال بلى!! أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ عـذروا، وعرفت إذ أنـكــروا، فقال عدي: فلا أبالي إذاً". فهذا رصيده وهذا مناط فخره، ورأس ماله ، وقوام شخصيته.
إن الهمم العالية لا ترضى بالدنئ ولا تقنع إلا بمعالي الأمور:

قلــت للصقر وهو في الجـــو عــال اهبط الأرضَ فالهواء جديبُ
قال لي الصقر: في جناحي وعزمـي وعنانِ السماءِ مرعىً خصيبُ

وهذا المرعى لا شك يجهله الأرضيون، حـيـث ثـقـلــة الأرض ومطامع الأرض. وتصورات الأرض ، ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال ، والخوف على اللذائذ، والمصالح والمتاع ، ثقلة الدعة والراحة والاستقرار :

أتُسبى الـمـسـلـمـات بـكــل ثـغــر وعيش المسلمين إذن يـطـيـبُ؟
أمـا لله والإســـلام حـــــــــقٌّ يـدافـع عـنـه شبانٌ وشِـيــبُ؟
فقل لذوي الـبـصـائـر حـيـث كانـوا أجـيـبـوا اللهَ وَيْحَـكُمُ أَجِـيـبوا

الملف الأدبي

دعوة للأدب

محمد بن حامد الأحمري

هل هذا زمن الدعوة للأدب إنشاء وإطلاعاً؟
وهل انتهت مشاكلنا فلم تبق إلا مشكلة الأدب؟
أم هذه الدعوة من باب الهروب من الواقع المُعاش إلى الخيال الأدبي؟
كارادتش السفاح الصربي الشهير يهيج جنوده بالأشعار والأغاني الجديدة والقديمة، ويحفظ من أشعار الصرب النصارى القديمة والحديثة ما يثير عواطف جنوده أشد الإثارة، ويستعيد أشعار الصرب وأحزانهم في حروبهم السالفة مع العثمانيين ، ويتغنى بأمجاد أجداده الذين ماتوا في المعارك مع المسلمين ، ويحث جنوده النصارى على قتل المسلمين عند حنايا الأودية، ويحثهم على اصطياد المسلمات، ويثير عواطف الصرب باستغلال آدابهم القديمة الحاقدة على المسلمين ، والتي ترجم بعضها وللأسف إلى العربية.
أما نحن فعندنا ضعف في الإنشاء الأدبي وفي استرجاع الأعمال الأدبية المهمة. ورب أمة حفظت أدبها وأساطيرها وغابت في طيات النسيان.
أدب الحرب حماسة، وأدب السلم متعة وهو في كل الأحوال صناعة من القول العذب الراقي يستجمع فيها المنشئ للمادة الأدبية مخزونه العلمي واللغوي ويستحث خياله لصناعة عالم جديد يبدؤه بهيكل الفكرة الرئيس حتى تكتمل ، ثم يتعهده بأجمل اللباس وأرقى الزينة اللفظية والأسلوبية، في تناسب لا تبعده الفكرة عن الأسلوب والزينة، ولا تجرده الزينة من المضمون.
حين تطغى الفكرة على اللغة يتحول النص إلى دراسة فكرية جافة، وحين تطغى الزينة الكلامية والأثقال اللفظية على الفكرة تتشوه الفكرة ويسقط المضمون والزينة. لأن التناسق الفكري القوي مع الزينة لا تثقل بناء النص ، فيحافظ على رونق مقبول. والفكرة المكثفة الضعيفة الزينة تبقى خاصة بمن يقدر على ركوب الصعب.
ما من أدب بلا قضية، حتى الذي سموه باللا معقول فإنه يحمل فكرة الضياع والدعوة لها. إذ الفكرة أو المبدأ ليس إلا الروح السارية في النص ، وهي التي تجعلك تنتقل من صفحة إلى أخرى متابعاً لحدث أكان سببه عندك أو عند الكاتب، سواء أفسّره كاملاً أو وقف عند جانب منه واكتفى بالرمز والإيحاء لأنه حاول إعطاء فكرة وهدف.
إن الذين يستغفلون القراء وشداة الأدب بالزعم : إن الفن لا هدف له ولا قضية ولا فكرة، أضاعوا أجيالاً من أمتنا؛ حاولت أن تنسج على منوال ما قيل لهم أنه أدب بلا هوية ولا قضية، فإذا بقومنا يكتبون أدباً تملؤه أفكار أمم أخرى، وتتلبسه صور وأحداث ومجتمعات وأديان غريبة، فهو يرثي أمة مزقت

فوق صلبانها ويحكي الـضـيـاع في أدغالها وتستهويه ثلوجها، ويتعارك مع إقطاعها وحراس كنائسها، ترى أي أدب هذا؟ أليس صورةً لمجتمع وأفكاراً لقضايا ومجتمعات أخرى تتردد على ألسنة من يقول : ليس لديه قضية ولا لفنه معنى.
نعم ربما كان كذلك ، ولكن الذين أوحوا له هذا المعنى السلبي كان عندهم قضية عالجوها فعالجها هو كما يعالجها أهلها دون أن يعي دوره.
حين ينجو الأديب المقلد من الصورة الوافدة لا تغادره الفكرة الغربية، ومــا من عمل أدبي دون قضية أو مأساة إنسانية تعصف بقلب موهوب ، سواء أكانت العاصفة حباً أو حرباً أو موتاً، فهذه إن لامست قلباً موهوباً شجياً، وغنى ثقافياً، وإرادة للعمل فتحت للناس نافذة للعقل والخيال ، وصنعت لهم عملاً أدبياً يحمل فكرة ومتعة، وينبئ عن صـاحب الـحـال وزمانه جاعلاً فكرة من غير الفكرة. ومن أبسط المواقف عبرة في سياق لا يخـصـك ولـكـــنك تجد نفسك من خلاله شاهداً متفاعلاً بدروس الأدب والحكمة. ولكم تقدر باحثاً عن الحق، هــاويــاً للمغامرة مثل محمد أسد في "طريق إلى الإسلام" وأنت معه في تتابع الأحداث، لا يخبرك المؤلف بما يريد، ولكنك بعد زمن تفكر فيما قرأت ، قال أحد قراء كتابه:"لـقــــد أحسست بالظمأ في حلقي حين قص محمد أسد قصة الظمأ في الكتاب"، إنه رسم صوراً في أذهان قرائه فكأنهم شاركوه وحلوا معه وارتحلوا وناقشوا النصارى في مصر، وجذبهم نور الإسـلام في أفغانستان ، وحاوروا المستشرقين بقوة وثقة. وضاغجي في "السنوات الرهيبة" صور مأســـاة المسلمين المحاربين في روسيا، واستطاع أن يجعل من القارئ مصاحباً له في القوقاز، شاهداً لإسقاط منارة المسجد العالية في قريته ، وكأن القارئ يجلس معه في فصله الدراسي يرقب من النافذة السيارة الضخمة وقد ربطت المنارة بالسلاسل وجرتها، والمنارة تميل وتميل ثم تسقــط ، وكأنما سقطت مدينته ، وانتهى تاريخه من تلك الأرض. وتقرأ رواية "السنوات الرهيبة" فكأنك تشاهد هدم المساجد اليوم في البوسنة، وتستمع إلى قول شيخ بوسني : "إن المساجد إذا هدمت فلن يعود المسلمون إلى هذه البقاع ، إذا هدم المسجد انتهت هوية البلاد لذا بدؤوا بها".
مشروعنا الإسلامي الـيــوم مشروع شامل لكل جوانب الحياة؛ والأدب من أبرزها كيف لا وقد تميز ميلاد ديننا بالإعـجـــاز القرآني ، وبلاغة الكلمة النبوية، وسحرها الذي تميز بالوضوح والإيجاز، وانتقاء الكلمات حتى ليكاد العادّ أن يعدها.
وبنى القرآن مع السنة ثقافة ثُقِّفَتْ فيها العبارة، وجلَّ الأسلوب فهدى الدعاة العالم بفكر قويم ، وأسلوب بليغ مستمد مـن كــلام الصحابة الذين كان كل واحد منهم حكيماً أديباً ينطق بكلمات جميلات جليلات كأنهن أفراس مسرجة. حينما وقع الوهن جراء الانفصال الـــذي يـروق لبـعـضـهـم أن يسميه تخصصاً ذهب أهل المذاهب إلى عالمهم الجاف ، وذهب أهل الزينة الكلامية إلـى

مشاغلهم ، وخرج الأولون بهياكل جافة منحوتة من الجلاميد، وبالغ أهل الزينة في زينتهم فكانت غثاثة وملالة، فضعف الذوق ، وقل الواردون إلى النبعين ، ولم يصدروا بأدب ودعوة وحكمة ذي بال.
مشروعنا الإسلامي يأخذ بشغاف القلوب ، وينبه العقول ، ويطلب من كلٍّ جهدَه عملاً ومشاعراً، وفَجْرُنا يتنفس اليوم في أعقاب ليل كان حالكاً بهيماً ولم يزل غالباً، ولكن فلوله آذنت بالرحيل والله غالب على أمره. والناشئة المسلمة لها ميول وتلهف إلى الأدب قراءة وإنشاء بل يكاد أن يكون هو الرافد الأول في زمن المراهقة، وأوائل الشباب ، لذا يجب أن لا نقف دون الرغبة ولكن نستثمرها وستجر القراءة الأدبية إلى خير منها بإذن الله.
إن الأدب مدخل لصياغة عقول الناشئة، وتحفيز هممهم ، وفتح سبل الأمل في حياتهم ، أما الثقافة المنقوصة فلا تبني الشخصية المتكاملة، والدعوة الجزئية لا تجمع شمل الأمة، لذا يجب أن نراقب تكامل عملنا، وإلمامه بهذه الجوانب الرئيسية، وعلينا إعداد القدوات المتميزة بغنى الثقافة، وعمق الشخصية، ونبل العواطف ، واتساع الخيال وآمال الخير.
وفي الصفوف الأولى من مسيرتنا الضاربة بعيداً في أعماق الزمـــان منارات تميزت بأصالة المعرفة، ورهافة الحس والذوق بل وبمنهج نقدي واضح رائع أمـثـال عمر وابن عباس - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - .

الحداثة بين التعمير والتدمير

د.حسن بن فهد الهويمل

الثابت من خــلال المتابـعة أن الحداثة ذاهبة لا محالة، وأن أشياعها سيوفضون إلى نصب جـديـدة تــقـيـمها الحضارة الـمهيمنــة، ويقيني أن العالم النامي المسكون بالتبعية وقابلية الاستجابة يـتـهـيأ لاستقبال "ما بعد الحـداثـة" وهو مذهب نشأ قبل خمسين عاماً وبطأ به انشغال المسرح بأدوار الحداثة في ظل إذعان كرسَّه الانبهار وفقد الثقة والشعور بالنقص. حتى ضاعت الهـويــة وانطمست المعالم وتلاشت الخصوصية، ولا مراء في أن الأخذ بعصم المتغيرات قبل وعيها سمة الضعف والدونية والرداءة.
ومـــــا لا ننكره أن الغرب تخطى المقاعد الخلفـيــة، وهب من رقاد طال أمده ، ونهض من تـخـلـف استحكمت ظلمته ، ونفض عن نفسه وضــــر الخرافة وانسلخ من ماضيه واستقبل حـياة مجردة متحررة من كل سلطان، وشكل حياة جديدة خلصته من عصور التخلف التي حاربت العلم وأحرقت الكتب وربطت الناس بطقوس دينية ثقيلة.
عـمـل كل ذلك لحياته الدنيا وحين رفض الآخرة رفضته الأولى وذلك سر اضطرابه وتدهور حياته.

ولن تـتأتى لمشرقنا العربي ممارسة التجربة الغربية لأن له عقيدة ورسالة وموروثا، تشكلت منها حياته التي خاض بها تجربة التفوق والتألق، ولم يعش فراغاً فكرياً، وتخلفه وضعفه العارضان نتيجة تفريطه بمؤهلاته القيادية. وحين أدرك الـغــرب بـبـقـايا صليبية وطوفان استكباره وهاجس تخوفه أن المارد منتفض لا محالة، أفاض عليه بسـقَـطِــه وحَشَفِه وسـوء كيله ليظل مقطورة مسيرة لا مخيرة. ومن مصائبنا الجسام قيام بعض المفكرين العرب بترسم خطى المصطلح الغربي ظناً منهم أن التجربة الناجحة في الغرب سيكتب لـهــا النجاح في الشرق. وتحرر الغرب من عصور التخلف ، ونجاحه في عملية الانفلات من قـيـوده حمله على جرأة التغيير والتدمير وامتد وباء التغيير إلى الفن حيث استعذب التخلي والـمغامرة بحثاً عن عرض الحياة الدنيا المحصورة بين رحم الأم ورحم الأرض على حد قول الحق عنهم ((إنْ هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ومَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ))[الأنعام 29].
والـراصــد للـتحــولات يصـاب بالذهول لتتابعها واستشرائها في مجال الفكر والسـيـاســة والاقتصاد والتربية وعلم النـفـــس والأدب ، ففي مجال الفن نهضت الكلاسيكية مــاثــلـة بالمحافظة على القيم والمعايير القديمة، ولكنها هدمت ليقوم على أنقاضها مذهب رومانسي تسامى على عقلانية عصر التنوير متجهاً إلى حــدس الـتـوصـف رافضاً الموروث في اللـغـة والشكل والمضمون ، ولم يطل مقامهم في رحابه، لأنـهـم لا يـصـبـرون على طـعام واحـــد، فألحقوا الرومانسية بالكلاسيكية ونبذوهما معاً وراء ظهورهم سخرياً ليستقبلوا (البرناسـيـة) وما تلبثوا في مداها إلا قليلاً، فقد ملوا من لغو الحديث لذاته.. ثم أوجفت عليهم "الواقعية الاشتراكية" بخيلها ورجلها واستمر ينتابهم طائف منها في مختلف تحولاتـهـم، وهــبـت وثنية العلم تقلب لهم الأمور، فتفتقت أذهانهم عن أدب رمزي سداه الذات والـموضـوع ، ولحمته العالم العلوي فجسد لهم ضعف الإنسان وقلقه. واتخذ لغة الإشارة والإبهام لـغــةً بـديـلــةً عن الوضوح؛ ولما اشتد ساعد الرمزيين أفاضوا إلى "الدادية" واتخذوها احتجاجاً على الـقـيم والمؤسسات والمنطق فغمرتهم بطوفان القلق والتشاؤم والبَرَم بالحياة والشك بكل شـــيء ، واسـتفحل داء العبثية وتشكلت السريالية بتلقائيتها المتحررة من العقل والقـيــم والجـمــــال والشعور، وتحقق في ظل سيادتها أحط دركات الفوضى. ومنها هبت ريـــــاح (الـمـسـتـقـبـلية) متأثرة ببقايا الرمزية وجاء (التصويريون) بصور لا تتعلق بمعنى ولا عاطفة، وعطلوا الـتـوصـيل ، وركزوا على الإيحاء والغموض ، ونهض "التعبيريون " بثورتهم ضد الفن السائد، معـتـمدين على تشويه الملامح البارزة. وعلى سفوح المذاهب شبت نوابت سوء أدركها الضياع بعد ما أفسدت الأذواق وعطلت مهمات الكلمة الطيبة وأفقدت الأدب هدفه السامي وغـايـاتــه النـبـيـلـة. وتشعبت المذاهب الأدبية، يتجه بعضها إلى الشكل لإيمانه بجمالية الفن وإمتاعه، ويأخذ بعضها الآخر بعصم الموضوع لإيمانه بنفعية الفن

وتوجيهه. وسمع الناس دوي المصطلحات وصخبها وتداخلت التحولات واختلطت المذاهب ، ولم تقم بينهما حواجز ظرفية تميز بعضها عن بعض، كما لم تقم في الساحة ثوابت وقناعات يرجع إليها عند الاختلاف. وأقبلت الشيوعية بإلحادها، والرأسمالية بأنانيتها، وهبت أعاصير الوجودية بعبثها. وقامت صراعات طاحنة بين رؤوس الفتنة، واختلطت الأمور، واختلت الموازين ، وسقط الفن في وحل الصراع ، وطاف عليه وعلى اللغة طائف "البنيوية" يُشرِّح ، ويُحوِّل ويفكِّك، وتلقفها الشرق والغرب، ووجدوا فيها ضالتهم لأنها تُمنِّيهم وتعدهم بالإنقاذ من معضلة النشأة الأولى، وامتدت إليها يد الملاحدة لينسفوا بها كل منجزات الفكر الإنساني وارتفع مكاؤهم وتصديتهم بعد ما اكتشفوا الخلية، وضاع رشدهم عندما سئلوا عما قبلها. وبلغ الفن دَرَك التشتت والضياع بعد طرح مصطلح "الحداثة"، وفيما بين هذا وذاك نسمع ونرى مذاهب شتى لها انتفاخ الأسد وضآلة الهر. ويطل عالمنا يستهلكه التلقي الأبله والتبعية المنضبطة، يركض وراء كل بارق ، ويحارب تحت كل راية، ليس له قضية محددة ولا هدف معين، ولا خصوصية متميزة، يؤمن بمعادلة كاذبة أطلقها الحاقدون وصدقها المغفلون ، فإما الإسلام والتخلف؛ أو العلمانية والتقدم ، وأشاعوا بأن الخطاب الإسلامي برداءته وإسفافه ومرجعيته يقف في وجه المستجدات ويحارب العقل، ويشل التفكير. والحق أن العقل شرط التكليف ، والتفكير فريضة إسلامية. وجرَّت "الحداثة" وابلاً من إشكالياتها تمثلت في تعددها واختلاف الحداثيين حول مقتضيات كل حداثة ومداها في التغيير، فالحداثة لم تكن أحادية اللغة فكل قومية لها لغتها.. وكل لغة لها حداثتها. ولم تكن أحادية الأصل والتراث فلكل قوم أصولهم وأسلوب التعامل مع هذه الأصول. ولم تكن نتاج مرحلة زمنية واحدة، فعمرها يمتد مع الزمن الماضي، حتى أن رموز الحداثة العربية التمسوها في اتجاهات تراثية متباينة. فهي عند أبي تمام لغوية، وعند أبي نواس عبثية، وعند الرومي عقدية، وعند المتنبي ثورية، ومن ثم فهي مترامية الأطراف مختلفة الألسن متباينة الأصول ، ومتناقضة العقائد، فلكل رمز من رموزها حداثته.. ولكل عصر حداثته، وهناك حداثة مطلقة وأخرى مشروطة، وحداثة إبداع، وحداثة فكر.

وتبعاً لهذا جاء تركيبها معقداً، واستوعبت كل المتناقضات وأصبح من المجازفة إطلاق الأحكام العامة في سياق الإدانة أو البراءة.

واتساع نطاق الحداثة وتعاقب المنظرين واختلاف ألسنتهم وألوانهم ومشاربهم وخلفياتهم الثقافية والعقدية هيأ للخلاف البين حول رسم خارطة لها.. ولو أتيحت متابعة متأنية لطروحات الدارسين لكنا أمام كم هائل من الحداثات حتى أن بعض النقاد يشك في قيمة المصطلح كأداة نقدية نظرية، ولكن غبش الرؤية لا يمنع من تسليط الأضواء على المقترفات. ونحن في عالمنا العربي نتلقى هذا الفيض، ونتمثل هذا الخلاف فنقول مثل قولهم،ونختلف

كاختلافهم ، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلناه ، وعلى المناهضين للحداثة أن يتلبثوا في أحكامهم ، لأن الحداثة العربية خليط من حداثات شتى، تسربت من كل جهة، ونسلت من كل حدب.
وفي إطار هذه التحولات المتلاحقة لن نستطيع إعطاء صورة سوية مقرؤوة الملامح "للحداثة"، لأنها تنتمي إلى مفاهيم متغيرة متناقضة.
كالمفهوم التاريخي ، واللا تاريخي، ويسمى بالمكونات اللا زمنية، والمفهوم العقدي والفني. وإذ لم تكن أحادية الظرف واللغة والثقافة والحضارة والدين جاء مصطلحها إشكالاً متنامياً بذاته. فالربط الزمني يحوله إلى صراع القديم والجديد مما عرفه أسلافنا: كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي والمبرد وابن قتيبة، والربط الدلالي يحوله إلى مقابل دلالي هو (القِدَم)، والربط التشكيلي يحوله إلى مناحي التجديد في الصورة والوزن والأسلوب. وكل هذه الروابط لا تحسم جدل الحداثة، لأن جدلها عقدي حضاري فلسفي قبل أن يكون فنياً. ومقتضيات المصطلح الغربي أخرجها من كل أطرها الفنية، ليورطها في ممارسة منحازة تدعي الاستجابة للانفجار المَعْرفي ، مما يستتبع تفجير اللغة والبنية والدلالة، ومن ثم يتغير موقف الفن من الله والإنسان والكون.
وعندما ناشد بعض منظري الحداثة بوضع فلسفة لها، وقدم مشروعاً يقوم على تشكيلها من الفلسفات "الوضعية" "والمثالية" "والواقعية"؛ تساءل أحد الباحثين بسخرية مضحكة: "أيَّة وضعية تعني: أتعني وضعية "أوغست كونت" أو وضعية "مور" أو الوضعية المنطقية... وأية مثالية تعني : هل تعني المثالية الذاتية. مثالية "فيخته" أو المثالية الموضوعية مثالية "سللنغ" أو المثالية المطلقة مثالية "هيجل" أو المثالية المتعالية مثالية "كانت" أو المثالية الإشكالية مثالية "ديكارت". ومع كل الصعوبات ما برح الوسطاء والتوفيقيون يخوضون جولات مرهقة للقضاء على عنصر الرفض ، وردم هوة الخلاف، وتجسير الفجوات القائمة بين الحداثة الغربية ومطالبنا الملحة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولم يفكروا في تشكيل حداثة تحافظ على خصوصيتنا، وتستجيب لمطالبنا، وتنسجم مع قناعاتنا وثوابتنا، بحداثة تحترم ذوق المتلقي، وتملأ فراغ نفسه ، وتوقف نزيف الكلمة الطيبة المنحورة على نصب الغموض والنثرية وعبث القول.
وفي سياق التبرير والتوفيق نسمع وصف "الحداثة" والتحديث والتفريق بين التجديد والتجدد، والاحتذاء والتجريب. ونضيق من الإسراف في ضرب الأمثال وتناسي جوهر الأشياء وما تفضي إليه ، والقول بأن الحداثة مطلق التغيير، وتقدير حتمية التجديد، وتناسي ذلك عند التطبيق.
والكلمة.. وتفسير الكلمة لا يحل الإشكال. وإذ نؤمن بالتجدد وضرورة التجريب يجب أن نضع لذلك ضوابطاً وشروطاً فيها اتساع ومرونة. فالتجريب بدون

ضوابط عبث، والتجريب بدون انتماء ضلال ، والتجريب دون ثقافة ووعي تخريب. والعبث والضلال والـتخــريب مرتكزات الحداثة التدميرية ومنطلقاتها. وإذا أردنا مواكبة المستجدات والفكاك من العزلة والانكماش، فلا بد من التحرك في إطار الانتماء والضوابط والثقافة والوعي، ويكون الانتماء باستصحاب مقتضاه ((الَذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ))[آل عمران 191]، ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ))، ((ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ))[آل عمران 139]، ((واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ))[الحجر 99]. ولا تكون الثقافة إلا باستيعاب الموروث وتمثل الطارىء. ولا يكون الوعي إلا بفهم المرحلة المعاشة ومعرفة متطلباتها. وبهذا كله نستطيع التفكير في "أَسْلَمةِ الحداثة" وجعلها إشكالية عربية متحاشية التورط في الإلحاد والرفـض والتصدي للإسلام واتهامه بتزييف الوعي وسخافة الخطاب ، في سبيل تحديث الإســـلام لأسلمة الحداثة.. وإذ لا ننكر وجود تحولات في كل أوجه الحياة؛ فإن الأدب شعره ونثره طرأ عليه تجديد واضح وملموس أدركه علماء القرن الثاني ، ورفضه بعضهم وسماه بالمحدث ، ومع المقاومة العنيفة والتصدي القوي غلب الجديد لأنه سنة الحياة التي لا تتبدل ولأن لكل زمان ذوقه وتطلعاته ، فهلا نطلق كلمة حداثة على هذا اللون من الأدب ، أو أن من لازم شيئاً اشتهر به ، وملازمة الحداثة للمخالفة المرفوضة حددت مفهومها. مجرد سؤال. فلربما يقول البعض : إن رفض هذا الإطلاق من باب كف الغيبة ودفع الشبهة والابتعاد عن الحمى على هدى: ((لا تَقُولُوا رَاعِنَا وقُولُوا انظُرْنَا))[البقرة 104]، فالنهي لا يرتبط بالمدلول الوضعي لهذا الجذر العربي ، وإنما ينظر إلى ملابساته وسياقه وظرفه. وعلى غرار (الكافر) للمزارع (والغائط) للمنخفض من الأرض.

فتحامي الاستعمال لتلبس الدلالة، ولما كانت ملابسات الحداثة بهذا الشكل رفض البعض إطلاقها تلافياً للتوهيم. وقبل أن نختلف حول قبول المسمى أو رفضه، لا بد أن نفهم جذور البلاء، ونستبين ملامح الدعاة فكم من دعاة على أبواب جهنم. ولا يــتــم ذلــك إلا بفهم متكامل لطبيعة الصراع بين الإسلام وسائر القوى المضادة منذ أن وقف المنافقون واليهود في وجه المهاجرين والأنصار إلى يومنا هذا. ولا يتم إلا بفهم شامل ودقيق للبعد الثقـافـي لكل الفترات ولكل الشخصيات التي تركت بصماتها واضحة في مسار العالم الإسلامي، ابتداء من الحملة الفرنسية، ومروراً بمحمد علي وأتاتورك، ثم بالعلماء والأدباء والمفكرين الذين اختلفت فيهم الآراء، ومعرفة فصائل الصراع ودوافعها والممول الفعلي لهذا الصراع وسبر أغـواره وفـهـم منازعه. ومع كل هذا يجب استبعاد سوء النية والتخلص من عقدة الغزو الثقافي فليس من صالحنا أن نعيش هذا الهاجس في كل مواجهاتنا، وأن نعتبر أنفسنا في حالة حرب مستمرة مع الطرف الآخر. إن هناك غزواً ولكنه دون الشمول الذي نتصوره ، وبالتالي فليست كل ممارسات الغرب من باب المكيدة، وفهمنا

الصحيح للغزو يحدد أسلوب تحركنا وتعاملنا، وفهمنا للدعوات يكشف الهدف من قبل التورط في النتائج.
ولو أننا فهمنا جذور البلاء وميزنا بين الغزو والتبادل لحلنا بين العدو وبين ما يشتهي ، ولتخلصنا مـــن داء العزلة والتبعية. إن إمكانات العصر أدت إلى سرعة الاتصال وتعدد قنواته وتداخـــل حاجاته وتلاحق متغيراته. وكل ذلك أسهم في تصعيد مشكلة التصور، وأفضى إلى خلافات لا تخلو من الوهم والتفاهة والهامشية. "والحداثة" في سياق طروحات الغرب اختلفت حـولـهـا الآراء، والثابت أنها تستمد لحمتها وسداها من واقعها المعاش، ومن ثم فإن لكل زمان ، ولكل أمة، ولكل ثقافة "حداثة متميزة". هذا ما يجب أن يكون ، أو ما هو كائن عند غير الـمـقـلـدين ، فهل نملك القدرة على بلورة "حداثة عربية" ذات شخصية متميزة تصد وباء الطارىء وتغني شبابنا عن الركض وراء سراب القيعان ، وتطوق مكائد الأعداء ومكرهم وتفسد عليهم حيلهم.
حداثة ذات ملامح عربية وإسلامية، ثم لنسمها ما شئنا حداثة أو معاصرة أو تجديداً. ثم أنملك - وذلك أضعف الإيمان - القدرة على تحييد الحداثة القائمة من عبثية التدمير. أم أنها عالمية الانتماء علمانية العقيدة، ثورية الحركة. ودورنا يقف عند التلقي.
إننا نسمع بإمكان بلورة حداثة عربية، ونسمع من يؤكد هذه الهيمنة الغربية على الحداثة العربية، ومن يناقض نفسه فيـنـظـر إلـى إشكاليتها التراثية من خلال محورين : أحدهما باركه ابرت قتيبة والمبرد وابن جني وابن رشيق. محور التجديد الدلالي واللغوي والتجديد في البناء والصورة والأسلوب. ومحور الـتـمــرد عـلـى الأعراف ، كما هو عند الصعاليك ، والتمرد على القيم والأخلاق كما هو عند الخمريين، والمجان، والعلمانيين، والتمرد على السـلـفـيـة كما هو عند شعراء الفرق ، والتمرد على السلطة كما هو عند شعراء الطوائف، ومحور التمرد على الأعراف والسلفية والأخلاق والسلطة يمثل الحداثة الحقيقية عند رموز التدمير. ونـسـمــع مـن يـنــادي بضرورة ربطها بحداثة الغرب ومن يراها جزءاً من مشروع حضاري شامل. وتلك المقولات المشبوهة تقف دون مشروع حداثة عربية وفصلها عن سياقها الاجتماعي والتاريخي والحضاري في الغرب. وحين نتفق على تعريب الحداثة وأسلمتها - ولا أحسبنا متفقين - فمن الـمخول بوضع شروطها وتحديد أبعادها الدلالية والفنية؟ وتلك مشكلة لم تنشأ بعد.
وإذا كانت الحداثة في الـغـــرب متلوثةً بمادية الماركسيين وإلحادية الوجوديين فإنها في الشرق متلوثة بباطنية الهدامـيـــن ومادية المخربين وصليبية الحاقدين وعلمانية المارقين.
وفي إطار هذا التورط ، أنقدر على الـتـوفـيـــق بين وجهات النظر، ونتخلص من تطاحن الأجيال ونطرح بديلاً يقوم على أصالة قادرة على المقاومة والتماسك في مواجهة الطارئ؟ أم نتسلل لواذاً ونفضل التخلي عن جذر

عربي للأعداء ينتزعونه كما انتزعوا غيره على مر التاريخ العربي المدان بالتخلي الجغرافي والفكري. إنها مشكلة يجب أن نفكر فيها جيداً قبل أن نتخذ القرار بالرفض أو القبول ، لأننا مللنا الخلاف والشجب والتناحر الكلامي ، وحان الوقت لنلتقي على كلمة سواء ترأب الصدع ، وتفك الاشتباك ، وتعيد لنا بعض ما فقدناه.
لقد تفرق الناس على مواجهة الحداثة إلى أصنـــاف ثلاثة تذبذبت الحداثة عندها بين التصنيم والتجريم والتحتيم. ففئة ترفضها بلا تفصيل ، وتتهم أربابها، دون استثناء، ولا تقبل بالمفهوم العام للتجديد والمعاصرة على سنن من قبلها من أدباء وعلماء، ولا تفرق بين من يقبلها مفهوماً للتجديد الفني الخالص ، ومن يتورط بمدلولها الدنس وتدنيها المادي ، وهذا الصنف تحركه عاطفة جياشة متقدة وتدفـعـــه نار متأججة، وتتحكم به رؤية غير واضحة ؛ ومع عنف المواجهة وصرامتها فإن العائد ضئيل والأثر وقتي. أما الصنف الاخر فخليط عجيب مريب من المشبوهين والإمعات والتبـعـيـيـن وعشاق الشهرة بالمخالفة، وهذا الصنف يحمل جراثيم متنوعة لا يقضي عليها بوصفة عـــلاجية واحدة لأن فيها مريض القلب ، وضعيف الإيمان ، والمتردد، والمستجيب ببلاهة والشاك القلق ، ومهزوز التصور والجاهل المستكبر، والمتردية والنطيحة، والموقوذة وما أكل العدو.. والتصدي لهذا الخليط من الفصائل - متفرقين أو مجتمعين - يتطلب الفهم والقوة والدراية والدربة في إطار منهج دقيق وتحرف حاذق وأسلوب متكافىء للمجادلة والمـحـاجـــة، فالـمـخربون لا يتحركون بهمجية ولا ينطلقون من فراغ ، إن فيهم أساطين فكر يعرفون الحق ولـكـن الهوى أصمهم وأعمى أبصارهم ، وفيهم من يخبط كالعشواء في مجاهل التيه لا يلوي على شيء من الوعي أو العلم بل سمع الناس يقولون شيئاً فقاله ، ومشكلة الواقع العربي استفـاضــة هذا النوع الذي يرفع رصيد الإمعية والغثائية وقابلية الاستجابة لكل ناعق.
وثالث الثلاثة فئة تزودت من الثقافة بمفهومها الواسع ، وتضلعت من التراث ، وفهمت الـحـــد الـمـقـبول من المعاصرة، وألمت بالمرحلة ومقتضياتها، وكشفت من مكائد المقنعين والمندسين للوقيعة والفتنة وعرفت المدى المتاح للتغير والتجديد، ولم تعر السمة أهمية بل نفذت إلى الجوهر، وجاء صراعها وتصديها متكافئين مع قوة الخصم ومكره وخطورة الطرح المضاد، ومشكلتها الصراع الجانبي مع المتصدين للأحداث عاطفياً، الذين يجهلون بعض الملابسات ويحرصون على تكريس الكيانات وتنمية الصراع المذهبي. والحرص على التآلف لا يمنع من كلمة الحق ، وواجبنا الديني يقتضي الصدق والصراحة. فالغاية واحــــدة والهـدف مـشـتــرك ،واختلاف المناهج يشفع له اتحاد الغايات. وعلى المتخاذل في مواجهة الباطل والمتردي والمندفع باهتياج أعزل أن يقدروا جميعاً المواقف غير المتضادة فكل إنسان مسؤول عن القول

والصمت،((مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ))[ق 18]، ((وجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وشَهِيدٌ))[قً 21].
وما أريد تأكيده في هذا الموقف أننا حين نـتـحــدث يجـــب أن نفكر بمسئوليتنا الشاملة، فليست مهمتنا مقتصرة على الأقربين ، فالعالم الإسلامي وحـدة لا تتجزأ، ومن لم يحمل هم أمته فوق كل أرض وتحت كل سماء فما أدى مسؤوليته، وعـنـدمــــا نعرض مشاكلنا ونصنف الناس فإنما ننطلق من تصور شاملٍ للمسلمين وهمومهم في الداخــــل والخارج ، وخدمة العقيدة ليست وقفاً على فرد أو جماعة وليست خاصة بموقع دون موقع. فكل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام ، ومهمته أن يحفظ هذا الثغر بكل ما آتاه الله مــن قوة وفق ما يراه مجدياً في هذا السبيل ، وعلى المرء ألا يكلف نفسه فوق طاقاتها، ودخـــول المعركة الفكرية بدون سلاح فكري متكافىء تمكين للخصم وتكليف للنفس ، والتصدي للفكر المضاد مناطه القدرة.
وإذا أردنا مصداقيتنا الاستمرار فعلينا أن نتخطى التعميم والتشهير وعشوائية التصدي وأن نتجه بأناة وروية إلى الجانحين في إبداعاتهم أو في تنظيرهم لتنبيههم وأخذهم بما اقترفوا، وتلافي إطلاق الأحكام العامة على أي مذهب يختلف حوله الناس، وتـخـتـلـــف الفئة في إطاره ، لأن في ذلك إفلاتاً للمذنب.
وصــراع المذاهب معروف وقائم لا يستنكره أحد لأنه قد يحمل على التعصب والـهـــوى والـمـنافسة، فلا يكون له وقع ولا أثر، والمصرون على الحنث يجدون في التراشق المذهبي فرصـــــة ادعاء أن الخلاف من باب التنوع لا من باب التضاد. والصراع الفكري يكرس المذهبية، ويقـيـم الكـيـانات ، ويجعل الولاء والبراء للمذهب ، فما الداعي لتجاوز نص الإدانة وخصوصيته إلى أفق المذهب وعموميته. والصراع المذهبي قد يحيد بنا عن العدل في الحكم، ونحن مطالبون بالعدل، والعدل صنو التفكير العلمي الذي لا يقبل الارتجال ولا التعميم ولا الانطـبـاعية، ومن مقتضياته تحديد الأحكام ، وأخذ الأمور بقوة الفهم ودقة التصور، ومواجهة الظاهرة بعقلية مستنيرة متفتحة تتيح الفرصة لعرض مفردات الظاهرة. والتبين مطلب إسلامي ولا يعيب الحق مصدره ، والمصطفى بخلقه العظيم أثنى على حلف الفضول ، وهو حلف جاهلي ، وإذا بدت ظاهرة أدبية أو فكرية فعلينا محاكمتها بصرف النظر عن مصدرها، فـــإن صـحـت قبـلـنــاها؛ وإلا رددناها. ولعلنا على علم بنغمة حوار الحضارات ، وقبل الدخول في دوامته لا بــد أن نعـرف مهمـتـنــا في الـحـيـاة وهويتنا وخصوصيتنا. فحوار الحضارات لا يعني التخلي عن ثوابتنا، ولا يعني اللجاجة ومصادرة حق الطرف الآخر. والمحق في كل زمان ومكان حاجته إيصال صوته ، وإذا لم يذعن المبطلون لهذا الصوت فإنهم سيضيقون به ذرعاً، لأنه صوت الضـمـيــــر الحي والفطرة السليمة. والاستجابة لهذا الصوت آتية لا محالة، فعلى صاحب الحق أن ينفي خبث اللجاجة عن صوته ، وأن يقف حيث

يتم التوصيل. والمرتجفون من صوت الحق يتواصون فيما بينهم ((لا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ والْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ))[فصلت 26]، لأن صوت الحق إن لم يغلب أوهن الخصم وخلخل حشوده ، وما دمنا أصحاب حق فإن علينا أن نقتصر على التوصيل. والفكر الإسلامي في مواجهته لكل التيارات بحاجة إلــى الهدوء والأناة والملاطفة ((ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ)) [النحل 125]، وبحاجة إلى تلافي صراع النجومية الذي يحوله إلى أداة تصارع من أجل الكسب لا من أجل التصحيح. وبحاجة إلى تلافي صراع المذهبية الذي يحول الولاء والبراء للكيان ولأعلامه. وبحاجة إلى فـهـم الطرح ، وتمثله سلوكاً ومنهج حياة وفهم الطرح المضاد، والاعـتـــراف بحقه إن كان ثمة حق في بعض مفرداته ، فالاعتراف بحق الغير دعم للمصداقية. ويحتاج أيضاً إلى عـقـلـــية مستوعبة تفهم المرحلة ومتطلباتها، وتدرك حجم المواجهة والامكانيات الـمـتــاحـة. وتـدرك قبل هذا وبعده ما يحاك داخل أوكار الماكرين لمعرفة المنحرفين الذين ينسلون من كل حــدب ليندسـوا في الصف الإسلامي وراء قناع الغيرة على الإسلام والدفاع عنه. وما الصهيونية والـمـاسـونية والعلمانية والماركسية والرأسمالية والوجودية والباطنية وسائر النحل المنحرفة إلا تشكل مـعـاصـر لجيش الفتن الذي فرق بين كلمة المسلمين وجعل الصحابي يشهر سيفه في وجه أخيه. وما علينا لو أعدنا قراءة التاريخ لنتزود من مواقـفـه، فالتاريخ قد يعيد نفسه ، وقد نسمع ونـرى ابن الـسـوداء مـاثــلاً أمامنا يشعل الفتنة ويغرر بالناس. فلنأخذ حذرنا ولنعرف أن زماننا المواتي لن يترك فنحن أصحاب نعمة واسـتـقـرار ورخاء. وهل هناك نعمة تتكافأ مع نعمة الإسلام.

مقدمة في بناء الرواية

د. مصطفى بكري بن محمد السيد

- 1 -

مكتبة علوم القرآن ، معجزة أخــرى لهـذا الكتاب العظيم ، تتمثل في نهر المعرفة المتدفقة التي فجرتها آياته وكلماته منذ لحظة نزوله الأولى وحتى النصف الأول من الألف الثانية من عمره المبارك ، هذا ما كان في المضمار الثقـافي ، أما في الميدان العملي ، فما زال يبعث في الأمة أملاً متجدداً وعزة قعساء(1)، لا ترى فـيـما يجبهها أكثر من كبوة عابرة ومحنة زائلة، لأنها تجد في تاريخ البشرية الممتد فوق جباه القرون لوحات ناطقة، مواعظ وعبراً، إنشاءً وخبراً، وكم أرخت هموم الحياة سدولها على واقع المسلمين حتى قال أعداؤهم : هذه مُهلكتهُم ، فيُقيِّض الله لـهـذه الغمة رجالاً ينكشف بهم الضر ويصححون العلاقة بين الأمة والقرآن ، بتقديم الدراسة الواعية والقراءة

العميقة، التي تجعل منه سوراً منيعاً أمام محاولات الاجتياح الثقافي والانكسار الحضاري.
لقد كان القرآن الكريم مصحوباً بالـحـديـث الشريف أمام كل انتصار ووراء كل وثبة للأمة الإسلامية؛ وكان العلماء هم الطليعة في كل الزحوف ، ولم يكن أعداء الدين جاهلين مصدر قوة المسلمين وتماسكهم ، ففكروا وقدروا ثــم فكروا وقدروا فرأوا ألا مُكْنة(2) لهم في إدخال الزيادة أو النقصان على حروفـه وكلماتــه وسوره وآياته لأنه محفوظ في حرز حريز إنجازاً لـوعــد الله الذي تكـفــــل بحفظه حيث يقول:((إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [الحجر15]، فلم يصبه ما أصاب الكتب الماضــية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى: ((والرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ))[المائدة 44]، أي بـمـــا طلب إليهم حفظه ، والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه ومهيمناً عليه (3)..
"وكم من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تنفق في كل عام لمحو هذا القرآن وصد الناس عن الإسلام بالتضليل والبهتان والخداع والإغراء ثم لا يظفر أهلها من وراء ذلك إلا بما قال الله تعالى : ((إنَّ الَذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصـُــدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ)) [الأنفال 36]، ذلك بأن الـــذي يمسكه أن يزول هو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا"(4).
إن أكبر مصيبة تحل بالمسلمين هو أن يحال بينهم وبـيـن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وذلك عندما يُقرآن قراءة لا تتأسس على أصول السلف ولا تسـتصحب معها رؤى العصر، إن ذلك عندما يحصل يجعل من المسلمين أمة بلا هوية، ويفقدهم الـشـهـادة على الناس لأن الحياة لا تستأمر غائبين ، ولا تستشهد مغيبين.

وإن من أكبر الجهاد إعادة تشكيل العقل المسلم وبناءه على معايير النصين المباركين في كل شؤون الحياة الحاضرة والتي يعد الأدب المعاصر أحد أهم روافدها، وفي التجهيز المـعـنـوي والأسلوبي للأدب ما يؤهله ليوفر المساندة الفعالة لتصحيم مسار الحياة الإسلامية، وإيقاف التداعي المؤسسي والخلل البنيوي في جهدها وجهادها، وإذا كانت أفعالنا أبناءً لأفـكـارنا فإن دور النص الأدبي في مملكة الفكر يأتي بعد النص الشرعي مكوناً أساساً للبنية الثقافية للفرد والأمة، وفي الثقافة العامة والخاصة لأية أمة يكمن التفسير الدقيق لفـعـلها وانفعالها وتخلفها، ومن هنا فالأدب الذي يكون اليوم أسطورياً، سيكون غداً شـخـوصـــاً ودستوراً، ولكم سمعنا عن نبيل يخال القرار يباعد

الأجل فيتحرك محفوظه الشعري ليرده إلى قــلــب المعركة كما حصل لمعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - (5) والمتنبي.
وكم رأينا قائلاً يتوازى إيقاعه مع توقيع (6) الأمة فيتوحد المرسل بالمتلقي ليصبح عـمـلــه الأدبي صوتاً قومياً كنونية عمرو بن كلثوم أو نشيداً إسلامياً كبائية أبي تمام (190 هـ- 231 هـ) التي جعلت مباشرة الخيار العسكري دليلاً على وجود الأمة وألقت بمؤسـســـة الكهانة في مزابل التاريخ.
وليست القصة أقل خطراً من الشعر في أثرها وتأثيرها، بل وفي إيثارها من القراء أكــثـرهـم على بقية الأجناس الأدبية. ففي صياغتها النثرية ما يحرر المبدع من بعض القيود، الـتـي قد تحدّ من تدفق أفكاره.
ولئن كان الشعر قد أطرب البشرية وأمتعها ، فإن النثر قد بلغ مع هذين الهدفين أهدافـــاً كثيرة أخرى كالمعرفة والخبرة وتقطير التجربة. والنثر كما كان أسلوب الكتب المنزلة مـــن الله عز وجل ، هو أيضاً لسان الحياة الحديثة، (لأن الأديب فيه يكون أكثر حرية تـجــاه اللـغـة فهو ليس مقيداً بقيود التشكيل الموسيقي للشعر، والذي تقف فيه (أنا) الشاعر ولغته ورؤيته في الصدارة)(7).
وهذا رأي كبار النقاد الذين يؤمنون بأن "لغة النثر حمالة للمضمون والمحتوى، وأن قيمتها فيما تحمله من أفكار للتخاطب ، ولغة الشعر قيمتها ذاتية، لأنها تهدف إلى توصيل معان ومضامين ، بقدر ما تشكله هي ذاتها من تعبير فني يقوم على التوزيع الصوتي والموسيقي، والـقــدرات التعبيرية الصورية أو المادية، أو الإيحاءات الـكـامـنــة الهائلة التي يمكن أن تفجرها الصور الشعرية في ائتلافها وتلاحمها أو في تعارضها وتنافرها"(8).
(فالكلمة في الشعر تستخدم بطاقاتها التصويرية، والتشكيلية والإيقاعية، وليست مهمتها في الدرجة الأولى أن تحكي الحدث ، إنما الشعر طاقة انفعالية وشعورية مكثفة إزاء موقف ما أو حدث ما)(9).
أما القاصَّ فالمطلوب منه أن يختفي كلية وراء عمله ، وأن يفسح المـجـــال للشخوص كي تتحرك في علاقات محددة، وأن يدع الأفعال تترابط وتتحرك على مستوى معين ، ثم أن يدع الحركة تنمو والزمن يتحرك من الماضي إلى الحاضر أو العكس ، ومن الحاضر والماضي إلى المستقبل ثم عليه بعد ذلك أن يعزز المغزى البعيد الذي ينسج من حوله الأحداث وتطور الزمن وحوار الشخوص مع بعضهم بعضاً.
والـكـثيرون من المبدعين يؤثرونها أي القصة (لأنها أقدر الأنواع الأدبية عـلـى التأثير على الناس أفراداً وجماعات وطبقات وحقباً معاصرة وتاريخية)(10). وبتقدم الأمـــم ثقافياً وفكرياً وإيثارها التأمل على الصوت والتحليل على الانـفـعــال فمن المـحـتـمـل في ظل ذلك أن تقفز القصة لتكون فن المستقبل ، وربما صارت الجنس الأدبي الذي يحتكر الـقــراءة والقراء، إذ فيها من الشعر لغته ، ومن المسرح قضيته. ومضامينها المختلفة تشكل

لـقــرائها ومشاهديها ومستمعيها - عبر وسائل الإعلام - منظومة معرفية، ودستورية أخلاقية وذوقـيـــة، ومعــايير محاكمة للذات والآخر أفراداً وجماعات أفكاراً وتـيـارات ، ولو رحنا نحلل فكرياً وسلـــوكـيــاً ثقافة الكثيرين لوجدناها غالباً تنحدر من مقروءاتهم القصصية ، ولعل ذلك يجعلنا نفقه لماذا يأتي نجيب محفوظ في مقدمة المقروئين في مصر يتلوه الشيخ محمد متولي الشعراوي (11) فـهـــذه النتيجة تفصح عن مكانة القصة والثقافة الشرعية وإن كنا نرجو أن تتقدم الثانية على الأولى..

إن القصة تفعِّل الموضوع الماضي الحاضر وتخصبه فنياً ليكون المستقبل ، لأن الفنان حقاً لن يذهب إلى عرض الحياة في صورة فوتوغرافية ولكنه سيذهــب إلى عرض صورة أكثر حقيقة وحيوية وكمالاً من الحقيقة نفسها. (وإذا كانت نقطة انـطـــلاق الروائي هي عالم الواقع ، فإن نقطة الوصول ليست هي العودة إلى عالم الواقع بل إنها إيجـــاد عــالـــم مستقل له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره)(12). وبرؤيتها المستقبلية تكون مـســـــودة التاريخ ومخطط حياة الغد، يقول أندريـه جيد:"لئن كان التاريخ رواية وقعت فعلاً، فإن الرواية تاريخ يمكن أن يقع(13)، لأنها كما يقول الفرنسي الآخر "البير كامو":القصة هي الواقع مصححاً"(14).

(وخلاصة القول إن لغة القصة إذا ما استخدمت بكفاءة بالغة تجعل الماضي واقعاً مـعـاشـاً، وتمتد بالحاضر إلى رؤية مستقبلية مشحونة بالتوقعات،كما إنها تحمل الإشعاعات العاطفية والفكرية)(15). وإذا كانت القصة بهذه الخطورة فإن إنتـاجـهـا إنما يكون عبر التأليف أو من خلال الدارسة النقدية (لأن حكمنا على التجربة هو نفسه تجربة)(16)..

هذه الإنتاجية لم تعد مغامرة فنية ومشاركة أدبية فحسب ، بل مـواجـهـة أداتها الكـلـمة المعبأة بالأسلوب المتشبع المتضلع بالمعمار الفني. وأنا لا أصطنع لأطروحتي مـنـاخاً خيالـياً فتكون مجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار، بل أدعو القارئ الكريم ليتأمل أولاً كـلـمـــة الـقاصّ الرافضي اليساري العراقي المنشق عن روح الأمة عبدالرحمن مجيد الربيعي (إنـنـي أكتب القصة لأطرح من خلالها موقفي السياسي والاجتماعي أي أنني كاتب ذو قضية،وإن وسيلتي الناجحة في التعبير عنها هي هذا الفن الصاعد، القصة القصيرة)(17).

ثـــم ليتأمل ثانياً: استعداء الناقد الماركسي القبطي غالي شكري للقاصّ يوسف إدريس تـ (1991 م) على من يسميهم "الأصوليين" وتهييجه أن يترجم سخطه عليهم في أحد أعماله القصصية القادمة !!

"وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما"(18).

لـقـد كـان في هذه الحفاوة المبكرة من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالقصة ما يؤهل هذا الـنـوع الأدبـــي ، لتتأوج مكانته ، وليحتل المنزلة

المناسبة لعطاءاته التربوية والجمالية ، والمـعـرفـيـة فـنسبة القصة في القرآن الكريم إلى غيرها من الموضوعات ما يعزز هذه المكانة إذ نـجد أن المـسـاحـة التي شغلتها (من كتاب الله كانت مساحة واسعة، ما نظن أن موضوعاً آخــر كـان لــه ما كان للقصة من نصيب ، فالقصص القرآني لا يقل الحيز الذي شغله من كتاب الله عن الـربـع إن لم يزد قليلاً)(19). وتجد في آيات القرآن الكريم من قواعد القصِّ فـي الـشـكـــل والـمـضـمـون والمتبوع بالنموذج التطبيقي ما يرفد هذا الفن ويضع بين يديه صُوى(20)، ليسترشد بها مبدعو الفن القصصي، فقد وصف الله تعالى القرآن بقوله: ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ))[الزمر 23]، ووصف قصصه بأنها ((أَحْسَنَ القَصَصِ))[يوسف 3]، وقد يكون الحديث عـــن القـصة أكثر تفصيلاً، في قوله عز اسمه : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَــدِيثاً يُفْتَرَى ولَكِن تَصْدِيقَ الَذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وهُدًى ورَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))[يوسف 111]. وقوله عز اسمه : ((وكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ))[هود 120]، فالتاريخ كما هو مدون ومكون للـقـــص مقـصـود له (21)، والقرآن الكريم لا يسرد التاريخ سرداً الياً، بل يعرضه بأسلوب يتجاور فيه الحـــق والجمال، ويتحد معه الشكل بالمضمون فيشبع الذائقة الأدبية بلغته الجمالية، ويترع الواعية المعرفية بحقائقه النهائية، وإخال أن الموسوعات التاريخية الإسلامية - في أسلوب تدويـنـهـــا التاريخي - لم تكن بمبعدة عن النهج القرآني ولا سيما في كتابي "الرسل والملوك" لابن حـجر(22) و"البداية والنهاية" لابن كثير(23).
فقد كان علمهما بالتفسير يترك بصمات واضحة على عملهما في الـتـاريـخ والعكس صحيح أيضاً، كتبا كمؤرخين وأديبين ومسؤولين تجاه دينهما وأمتهما، وتـنـاثــرت في سـفـريـهما لوحات موحية ولمحات مورقة، لا تمر بالحدث مروراً محايداً، ولا تبـاعـــــد يبن الـعـلـم والعقيدة بدعوى الموضوعية، وهكذا تكون عطاءات القرآن الأسلوبية، ثروة معرفية أخـــرى من كنوز هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه..
وإذا كان قارئ الرواية ينتقل من موضعه إلى عوالم شتى من صنع الروائي نفسه (24)، فإن دراسة قصة مثل قصة موسى(25) -عليه السلام- تفتح عين القارئ على ملحـمـــة صادقة لهذا الرسول -عليه السلام- منذ ألقت به الأم في لجة اليم إلى أن تمكن بسلاح الكلـمة أن يـثـل عــرش طاغية كان قد أعلن في لحظة مظلمة من تاريخ البشرية ((أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى))
[النازعات 24]، وبين لحظة الميلاد ونهاية الحياة تطوف بنا الآيات بين مصر والـشــام وشمال الجزيرة (مدين)، وهي تتابع مسيرة هذا الفتى قبل أن ينبأ، والذي كان في نفـسـه شديد الغضب وتوقفنا على شهامته ونخوته عندما يسقي لبنات شعيب -عليه السلام- ، ولا تأخذه العزة بهذه اليد التي يسديها

إلى الفتاتين بل ينجلي شكره على هذه النعمة بهذا الحوار مع النفس((رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ))[القص 24].
وتستدعي الآيـــــات إلى أبصارنا مسيرة ابنة شعيب -عليه السلام- تدعو موسى - علـيـه السلام- بحديث خال من تبرج الكلمات ، ليلقى والدها -عليه السلام- ، فيعرض عـلـيـه شعيب(*) " أن يجزيه أجر ما سقى لابنتيه ، فيجيبه موسى -عليه السلام- : (إنا أهــل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً، ولاناخذ على المعروف ثمناً)، فيعقد له على إحدى ابنتيه مقابل أن يسترعيه ثمان حجج ، وبذلك يدخل مدرسة الأنبياء: (عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم. فقال صحابته : وأنت؟ فقال : نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)(26)..
هكذا تكون تربية الأنبياء، إنهم ليسوا مثل أولئك الواثبين على السلطة أو المستقدمين إليها دونـمــــا رصـيـد وتدرج في سلم المسؤوليات ، فمن رعاية موسى -عليه السلام- للمواشي، (اكتسب الكثير مـن حكمة النبوة، فلما حان موعد سيناء كان مهيئاً للنهوض بالعبء الذي لا يصلح له إلا (أولو العزم))(27).
ونتابع سيرة هــذا الـنـبـي -عـليه السلام- في آيات القرآن التي تنقل لنا: مواجهته للكفر المؤسس بفرعون ودولته وما فيـهـمـا مـــن سحر ومكر، وتصديه لليهود الذين كانوا الخصم الألد(28) لدعوته ولكل داع ودعوة، ولـقــــارون وثـروته التي وظفت للصد عن سبيل الله، وغـيــر ذلك من الموضوعات الرئيسية والقضايا الجانبية، خلال حياته التي امتدت حتى بلغت عـشــريـن ومـائــة سنة(29)، هذا الزمن الفلكي الممتد يختصر إلى أبعد حد في (زمن القص) المذكور في الـســور القرآنية المباركة، هذه الشخصية التي تبدأ حياتها بفتوة عارمة تسخرها لطاعة الله عز وجل تنتهي أيضاً كذلك مع ملك الموت : فقد روى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : "أرسل ملك الموت إلي موسى -عليه السلام- فلما جاءه صكه..", الحديث (30).
هذه الـسـيــــرة العطرة جـعـلـت رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- يتنازل تواضعاً أمام إنجازاتها الـنـبـويـــة الفذة فـيـقــول : بأبي هو وأمي (لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون ، فأكون أول من يفيق فــإذا مـوسـى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله)(31).

مكتبة البحث :

1- قعساء: يقال عزةٌ قعساء: ممـتـنـعــة ثـابـتـة. المعجم الوسيط 2/749. قام بإخراج هذه الطبعة : د. إبراهيم أنيس ، د. عبد الحليم منـتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر".
2- ن. م رقم 21/882. ومعنى ن. م : نفس المصدر أو المرجع ، المكنة (بضم الميم) القدرة والاستطاعة، القوة وبشدة.

3- النبأ العظيم ، ص 3 1 -4 1 ، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم الكويت ، ط. م 0 39 هـ.
4- ن. م رقم 3، ص 44.
5- في كتاب أيام العرب في الإسلام ، تأليف : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد اليحياوي - دار إحياء التراث العربي /بيروت و 3/1388 ص 362، (لم "يزل الاشتر في هجمته حتى وصل إلى حرس معاوية، وكان معاوية يقول : أردت في هذا الوقت أن انهزم فذكرت قول ابن الأطنابة :

أبت لي عفتي وأبى بلائــي وإقـدامي على البطل المشيح
وإعطائي على المكروه مالــي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وقولي كلما جشأت وجاشت: مكانـك تحمدي أوتستريحي

فمنعني هذا القول من الفرار وفي (نضرة إلا غريض في نـصــــرة القريض) للمظفر العلوي /357، يقول معاوية -رضي الله عنه- : (علموا أولادكم الشعر، فإني أدركت الخلافة، ونلت الرئاسة، ووصلت إلى هذه المنزلة بأبيات ابن الأطنابة).
6- التوقيع نوع من السير المعجم الوسيط 2/1050(**).
7- الرواية وفن القص /وهو عنوان عدد لمجلة فصول /المجلد الثاني ، العدد الثاني ، يناير-فبراير-مارس ،1982 ص 14.
8- ن. م /7، ص 109، مجلد ه ، عدد 4، 985 ام..
9- نقد الرواية، د.نبيلة إبراهيم سالم ، النادي الأدبي ، الرياض ، 1400/ 1980 م ص 11.
10- ن. م 7، ص 182، عدد 0 3، 1991م.
11 - حديث الثلاثاء، 2/ 341، أحمد عبد المعطي حجازي ، دار المريخ للنشر الرياض.
12 - سيزا قاسم ، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، دار التنوير بيروت ، ط أولى 1985، ص 105.
13- من بحث مخطوط لكاتب المقال بعنوان : خواطر عن القصة في القرآن الكريم ،ص 9.
14 - المصدر نفسه.
15 - ن. م 7/44 ، نقد الرواية.
16 - قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ص 20 ، د.عز الدين إسماعيل ، الناشر: دار الفكر العربي 1980م.
7 1 - مجلة فصول ، عنوان العدد، الأدب والايدلوجيا، ص108 ، مجلد5 1 عدد 4، 1985م. ويعلق كاتب المقال على إجابات بعض الكتاب عن أسباب كتابتهم القصة فيقول: لست أدري لماذا جاءت هذه الآراء الخجولة (لأنها تتحدث عن غياب المغزى عن مخططهم الأدبي ارتقاء بالفن عن أية غاية) ويعلق على كلام الربيعي بقوله : ألا ما أجمل الوضوح والبساطة بغير معاظلة ولا التواء.

18- فتح الباري شرح صحيح البخاري 8/ 410، والكتاب للامام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المكتبة السلفية، وبمناسبة النص : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قص على اصحابه قصة موسى والخضر -عليهما السلام- فلما بلغ قوله تعالى : ((هذا فراق بيني وبينك))[الكهف] ، قال : وددنا أن موسى 00) الحديث.
19 - القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته، ص 10 ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان، عمان ط1. ، 1407 ط /1987 م.
20- المعجم الوسيط 1/530، الصُّوَى: ما نصب من الحجارة ليستدل به على الطريق، ج: صُوى وأصواء.
21- في كتاب قضايا التكرار في القصص القرآني ، د. محمود زلط ، ط. أولى، دار الأنصار بالقاهرة 1398هـ. رأي غريب وهو: القرآن لا يهدف إلى التاريخ ، وينقل هذه الجملة عن فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت في كتابه تفسير القرآن الكريم ص 573.
22- ابن جرير الطبري ، تـ 310 هـ.
23- ابن كثير تـ 4 77هـ..
24- ص 99 من المرجع رقم 12 بناء الرواية.
25- تفسير الكشاف. للزمخشري المعتزلي، 3/159 قريء موسى.
26- فتح الباري 4 / 441 ، ورقم الحديث 2262 كتاب الإجارة رقم 37 باب 2 ، رعى الغنم على قراريط.
27- نظرات تحليلية في القصة القرآنية، محمد المجذوب ، 120/190.
28- الألد: الخصم الجدل. المعجم الوسيط 2/ 821.
29- فتح الباري 6/442.
30- فتح الباري 6/ 440.
31- فتح الباري 6/ 441.
* الراجح أن والد الفتاتين في سورة القصص ليس النبي شعيباً كما هو شائع عند كثر من المفسرين لأن شعيباً لم يكن معاصراً لموسى -عليه السلام- .
** - المعجم الوسيط غير موثق وأغلاطه كثيرة ولا سيما في الطبعة الأولى - (البيان) -

---

إسلامية الأدب كيف ولماذا؟؟

عبد الرحمن صالح العشماوي

الشبهة السادسة(*):

تثار هذه الشبهة منذ زمن بـعـيــد بالصـيـغة التالية: الأديب العالمي هو الذي يتخلص من النظرة الأحادية، إلى العالم من حوله ، فتكون له رؤاه المتعددة القائمة "على مرونته" لا في التجامل مع الأفكار والمبادئ الأخرى، والأدب

الإســـلامي يقـــوم على "النظرة الأحادية" التي لا تتحقق معها الرؤية العامة والعالمية.. أما هذه الأيام ، فــــإن هـــذه الـشـبهة تثار بعينها، ولكن بأسلوب آخر فيقال : النظام العالمي الجديد ينادي بثقافة عالمية موحـــدة لا فـواصل بين العقول والأفكار فيها، فالناس جميعاً ينتمون الآن إلى ثقافة واحدة تقوم عـلــى فـكـرة "الإنسانية(**)" التي لا تعرف الحدود، والأدب الإسلامي بنظرته الأحادية يدعو إلى الـتـميز، وإقامة الفواصل بينه وبين الآداب العالمية المخالفة له في الوجهة الثقافية.

هكذا تثار هذه الشبهة، فما موقفنا منها؟؟!

أولاً: نـؤكـد أنـــه لا تعارض بين "أحادية النظرة" وتعدد الثقافة ومصادر الفكر في حياة الإنسان السوي، ولـذلـك فإن من الخطأ الكبير ما يقال عن حيلولة النظرة الأحادية دون تعدد مصادر ثقافة صاحـبـهـا، فـالثقـافة بمعناها العام ليست حكراً على أحد من البشر، والإطلاع على العلوم والأفكار المختلفة شيء ، والمرونة القائمة على الذوبان في تلك الأفكار شيء آخر، والأدب الإسلامي قائم على تـصــور إسلامي واضح لا غبار عليه ، ولا يجيز لنفسه أن يتركه بدعوى تعدد الرؤية الثقافية، ولـكـنــه مع ذلك يؤمن بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها".

ثانياً: أحادية النظرة بهذا المعنى - الذي ألمحنا إليه - هي الطريق السليم إلى التميز عن الآخرين ؛ التميز في الفكر، وأصول الثقافة، وقبل ذلك كله "في الاعتقاد"، أي في "الدين" . وإذا كان هذا التميز مطلباً فطرياً في الإنسان ، وهدفــاً تسعى إليه الأمم والشعوب في ظل أفكارها ومبادئها الخاصة بها، فإنه مطلب شرعي أساس في دين الإسلام.

يقول الله تعالى : ((فِطْرَتَ اللهِ الَتِــي فَـطَـــرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ))[الروم 30]، وهذه الآية صريحة كل الصراحة في رسم إطار التميز للإنسان المسلم وهو تميز فريد ذلك لأن الله قال : ((إنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإسْلامُ ومَا اخْتَلَفَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ومَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ)[آل عمران 19].

إذن فالدين الإسلامي هو الدين الذي دعا إلية الأنبياء جميعاً، وهو قائم على رؤية متميزة كل التميز عن الرؤى العقدية والفكرية والثقـافـيـــــــة التي تقوم عليها المذاهب البشرية الوضعية، بل والديانات السماوية المحرفة وهذا التميز يقوم في أساسه على "رؤية واحدة" لا يجوز للمسلم الحق أن يتزحزح عنها قيد أنملة، ولا يصح له أن يستقي أصول ثقافته وفكره وأدبه من سواها، ولهذا قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بعد هذه الآية :

((فَـــإنْ حَـــاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وجْهِيَ لِلَّهِ ومَنِ اتَّبَعَنِ وقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ والأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وإن تَوَلَّوْا فَإنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ واللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ))[آل عمران 20]،. وهذه الآيــــــة صريحة كما نرى في

تأكيد "الرؤية الواحدة" مهما اختلفت الرؤى، ومهما أصر أصحاب التـعـددية الفكرية على مواقفهم ، ذلك لأن هذه الرؤية الواحدة هي التي تبني "القاعدة الأم" لـفـكـر الإنسان وثقافته وأدبه ((فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وجْهِيَ لِلَّهِ ومَنِ اتَّبَعَنِ))[آل عمران 20] ، أي : أن أولئك الذين يعترضون على هذه القاعدة الصلبة والرؤية الواحدة قد يحاجون الرسول -عليه الصلاة والسلام- فيها، فإذا حاجوه فإن عليه - بأمر من الله - أن يعلن لهم الثبات عليها دون تردد أبداً، فإذا ما تولى أولئك فأمرهم إلى الله وهو بصير بعباده

وهذه المعاني التي يغفل عنها كثير من نقاد الأدب المسلمين المعاصرين هي القاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي في أدبنا.

ويبرز هنا سؤال هو: هل تتعارض هذه القاعدة، وهذا التصور مع تنويع مصادر ثقافة الأديب الإسلامي؟؟

الجواب الذي لا احتمال لغيره : كلا.. ثم كلا.. فالأديب المسلم مطالب بالإطلاع على الثقافات المختلفة وأساليب الأدب المتعددة، مع أن له نظرته الموحدة القائمة على تصوره الإسلامي الثابت. ومن هنا ندرك أن شبهة التميز المثارة هي خاصية يتميز بها الأديب الإسلامي عن سواه ، ويسلم بها فكره وأدبه من الاضطراب ، والذوبان ، والسير الأعمى وراء كل ناعق ثقافي أو أدبي يدعو إلى التعددية الثقافية الشوهاء.

وإذا كان التميز مطلباً إسلامياً بناء على نصوص القرآن والسنة المطهرة فإنه قاعدة لا بد من الاتكاء عليها في مواجهة انحراف الثقافات والآداب الأخرى، وهو أيضاً قاعدة يمكن أن ينطلق منها الأديب الإسلامي إلى العالمية.

فالعالمية في الأدب لا تعني انفلات الأديب من قيمه وملاحقة المذاهب والأفكار الأخرى المنتشرة في العالم ملاحقة التابع المقلد، ولكنها تعني الانطلاق من رؤية خاصة وقاعدة أدبية مستقلة إلى آفاق إنسانية رحبة..

إن الشاعر الإسلامي محمد إقـبــــال - رحمه الله - هو الذي أوصاه أبوه أن يقرأ القرآن ، وهو الذي تناول في شعره قضايا عالمية كبرى تحققت له بها العالمية التي نتحدث عنها. فهل كان التميز عقبة في طريقه؟؟(1).

وكذلك "شاعر الإنسانية المؤمنة" عمر بهاء الدين الأميري - رحمه الله - لم ينطق إلى دوره الشعري العالمي من تقليد أعمى لشاعر غربي أو شرقي ، وإنما انطلق إليه من ديوانه الأول "مع الله"، إنه التميز الذي يحققه الأديب الإسلامي على وعي وبصيرة، وهذا التميز هو الذي يحمي الأديب الإسلامي من الانخداع بدعاوى النظام العالمي الزائفة، فيقف أمام هذه الدعاوى شامخاً، ويفندها ويبين للأجيال زيفها وتضليلها، وهو بذلك يسلم من تلك الرؤية الزائفة التي يرى بها - بعض الأدباء المنحرفين - أحداث العالم المعاصر..

يتناول الأديب الإسلامي القضايا الـكـبــــرى تـنـاولاً واعياً فإذا تحدث عن النظام العالمي الجديد تحدث عنه حديث الواعي الذي يدرك أنه استعمار صليبي وهيمنة غربية جديدة. بينما نجد من أدباء ونقاد العرب - ممن يتنادون

إلى التعددية الثقافية والفكرية الزائفة - من يرى النظام العالمي الجديد وسيلة من وسائل التقدم لأمتنا.. فها هو لطفي الخولي يقول في كلمة ألقاها في مهرجان أصيلة الأخير: "النظام الـعـالـمـي الجديد سيفرز ثقافة جديدة تحاول إنقاذ العالم من أهم أربعة أخطار وهي القنبلة النوويـــة، ومشـكـلة تلوث البيئة، وتفجر الصراعات العرقية، ومشكلة الفقر"(2).

ويبدو أن هذا الكاتب "المثقف"(***)؟!.. لم ير ما يجري في البوسنة والهـرسـك ولم ير الهياكل العظمية التي تعرضها وسائل الإعلام في الصومال الجريح ، ولم يفهم معنى التآمر العالمي على الجهاد الأفغاني ، ولذلك كانت صورة النظام العالمي في ذهنه صورة حسنة..

وبمثل هذا الوعي الناقص قال أحد أبناء الجزيرة العربية التي انبثق منها نور الإســـلام المتميز: "إن النظام العالمي الجديد يستوعب تفكيراً جديداً، رائده هو كيف "نتأقلم"(3). وكأنه يريد أن نصنع ما تصنع الحرباء ذات التعددية في اللون حيث أنها تغير لونها على حسب الموقع الذي تكون فيه.

إن الأديب الإسلامي يظل بمنجاة من هذا التخبط لأن التصور عنده إسلامي قائم على تميز في الفكر والثقافة والأدب ، وليس معنى هذا التميز أن يكون الأديب الإسلامي غائباً عما يجـــري فـي هــذا العالم - كما قد يخطر ببال البعض - كلا فإن رؤية هذا الأديب أعم وأشمل، وهنالك قـدر مشترك من القضايا والمواقف بين أدباء العالم على اختلاف أفكارهم وثقافاتهم ومعتقداتـهم ، مع وجود الفوارق التي تميز بعضهم عن بعضهم.. فالحديث عن المظلومين والمشردين، وتصوير آهات اليتامى والثكالى.. والحــديـث عـــن العدل وقيمته ، والحرية وأثرها إلى غير ذلك من القضايا، كل ذلك من الأمور المشتركة بيـن أدباء العالم ، أما التميز والنظرة الموحدة إلى الأمور فمن أهم خصائص الأدب الإسلامي الذي تـضــــرب جذوره في تربة الإسلام الخصبة النقية..

وختاماً أنادي كل أديب وناقد يتخذ موقفاً سلبياً من الأدب الإسلامي أن يتخلص من هوى نفـســه ، وأن يدرس حقيقة هذا الأدب دراسة موضوعية منصفة، فإذا فعل الأديب ذلك فـــإنني أبشره بزوال غشاوة الشبه المثارة حول هذا الأدب عن عينيه ، وعندها سيرى أن الأدب الإســـلامــي هو سفينة النجاة للأجيال المسلمة في هذا الخضم المائج من المذاهب الأدبية الزائفة المنتشرة في عالم اليوم.

الهوامش :

* نشرت خمس شبهات في الأعداد السابقة "المحرر الأدبي - البيان"

** لقد طرح الشيوعيون من قبل فكرة "الأممية" ونتيجتهم ما شاهدناه لا كما زعموا "المحرر الأدبي - البيان"

1- راجع كتاب "إقبال الشاعر الثائر" لنجيب الكيلاني ص 15 وما بعدها.

2- انظر جريدة عكاظ ، ملحق دنيا عدد 52الثلاثاء 20 صفر 1413 هـ.

*** الذين يلبسون لكل بلاد لبوسها، وليس من باب التقليد الأعمى "المحرر الأدبي - البيان.
3- انظر جريدة عكاظ ، الثلاثاء 20 صفر 1413هـ.

قصيدة عن حُبٍّ قديم

د. صالح الزهراني

تسعونَ قرناً، في هـــــواك غـريـــقُ من بـعـد هذا العُمر كيف أفـيـقُ
يـــا أيـهـــا الـــوجهُ الذي أحببتُهُ من أين يبتـدىءُ الحديث مَشوقُ
تسعون قرناً، كان حبُّك رايـتـــــي ولمثل عينيك الـعـــذاب يـــروقُ
تسعون عاماً، والـقـصـائـدُ شُـــرَّعٌ والليل نزفٌ ، والفؤاد حــريــقُ
ما قلت: يـــا أمي الحبيبة، خانني قـلـبـي، فقلبُ المستهام صـدوقُ
مــا قـلـــت.. أعلم أن حُبَّك واجبٌ وعليَّ فـي هـذا الجهاد حقـوقُ
كانت تـضـيـقُ بـي البسـيـطـةُ كلّها ونفوسُ مَنْ حـفِـظَ الوداد تضيـقُ
ويظل هذا الوجه غايةَ رحـلـتــــي والحرفُ حُرٌّ، والـنّـشيدُ سبـوقُ
والشّعر مـنكـوس الـبـيــارقِ ، لم يزلْ والبيت فيه عناكبٌ وشُـقـــوقُ
يـتـسـابـقـون إلى القصيد جحافـــلاً تترى، وكُلٌّ خَانَهُ التّوفـيـــق
وأتيتِ فوق مطالعي شَمْسَ الضُّحـــى وعليَّ من حُلَلِ الضّياء بُـــروقُ
وقـصـيـدتـي من طُهْرِ وَجْهك تَزْدَهي فـي كُلّ حرفٍ نضرةٌ.. ورحـيـقُ
وأتيتِ يا وجْـــهَ الحياةِ، علَى فمي شـجـــرُ له في الخافقين عــروقُ
وأتـيـتُ مــــا ضيّعت عهد أميرتي فــالـعـهدُ في لغةِ القلوبِ وثيــقُ
يا عُنفوانَ الشِّعـــرِ حـيــــن أهزُّهُ والخـطـبُ هوْلُ، والمدارُ نعيــقُ
تتـخـشَّـبُ الـكـلـماتُ، يصبح عَذْبُها شَـجـنــاً، فيا لِلْمُرِّ حـيـن أذوقُ
أمي الحبيبة، يزدهـــون بـبِّــرهــــم والبرّ فـي هـــذا الزمان عقـــوقُ
أسـرجتُ ظهر الشّعر قلتُ لك اركبي وركبت والـمُهْر الحرون عتـيـقُ
تسـعـــون قـرنـــاً، مـــا تراخى عزمُهُ فـكـأنَّـــه من حُرقتي مخلــوقُ
واليوم يا نهرَ الجلال وسـيـفُــنــــا خشبٌ وفارسُنا العظيم مَـعـوقُ
مــــا غـيَّـــــرَ الفكرُ الجديد مواقفي فـالـبـعـدُ بين الموقفين سحيــقُ
أنَّى أبيعك للـظَّـــــلام ، ولِـلْـخَـنَـــا ضدان ليلٌ ألـيــلٌ وشــــــروقُ
يتـكـالـبــون على جِـراحِكِ، ما دَرَوْا أنَّ الـكـــريـمـــةَ دونها العيُّوقُ
ما ضرَّني لجبُ العُداةِ وحـشـــدهــم وَرَقُ العُداةِ بأرضـنـــا محروقُ
مــــا ضـرَّنـــي إلا بَنُوْكِ تطاحنوا مـاذا إذا طَحَنَ الشّقيقَ شقيقُ؟!
في كلِّ قارعةٍ يُجـالِـــدُ مَـجْـدَنــا باســـم الحضارةِ خائـنٌ زنديقُ!
"يـــا عـــالمي الـعــربيُّ" أين عُروبةٌ؟ من نَسْلِها الصدّيـــق والفـاروقُ
"يـــا عـــالمي الـعــربيُّ" أي عُروبةٍ؟ "والقـبـلـة الأولـى" دَمٌ وشهيقُ
"يـــا عـــالمي الـعــربيُّ" أي عروبةٍ؟ في القلب حـقـدٌ ،والكساء فسوقُ

"يـــا عــــالمي العــربيُّ"، كُلٌّ يدعي صدق الصّديــق وما هناك صديقُ
ضيعـت مـبــدأك العظيم، وليس في عـصــــر الــدراهم للبطالة سوقُ
دعْ هذه الألـقــابَ، ديـنـك واحـــدٌ ديـنُ المحــــبَّـةِ ليـس فيه فُروقُ
مــن " قندهارَ" إلى "الرصافةِ " وحدةٌ "بيمـار" يشرب من شَجَاه طُويْقُ
إنـــــي لألـمـح فـي يمـيـنـك رقــدةٌ والـكـــفُّ حتفٌ والحسامُ ذليقُ
مـــا خـــانَ هــــــذا الكفَّ إلا ماكرٌ والـمكـرُ بالقلب الخؤوفِ محيق
يا فجرَنا الميمون ضَــــوْؤُك قـــــادمٌ مـهـمــا يُعَشَشُ في العيون بريقُ
والأفـق في عينيك يا محـبـوبـتــــي معشوشبٌ، غضُ الإهابِ، وريقُ
تـسعـــــون قرناً والـجـــــــراح مُرِبَّةٌ والوجهُ يندى، واللسان طـلـيـقُ
ما كلَّ زنــدُك، يــا أمـيــــرةَ أحرفي زند العظيمةِ بالعظام خـلـيـــقُ
ورحلتِ يَصْفَعُك العُبابُ بِـكَـفِّـــــهِ ويعوقُ سَيرِكِ عاصفٌ ومضـيـقُ
وبلغتِ كان بلوغُ أمرِكِ آيـــــــــــةً ولمن نجا فوق السُّيوفِ طـريــقُ!

سراي ايفو = سراي البوسنة

محمود السيد الدغيم

سراي ايفو سراييفو
إذا ما قعقعَ المدفع
ورددتِ الجبال الشُّمُّ أصداءَ انفجاراتِ
وعاثَ القصفُ بالأرواح فاضطربت
وأصبح شعبُك المنكوبُ محتجزاً ومُغْتَصَبَاً
كما احتُجِزَت رُبوُعِ القدس بل أرض النبواتِ
فلا تدعي إلى الميدان أعراباً ولا عربا
لأنَّهم طوال الوقت مشغولونَ بالأفيون بالقاتِ
لقد أعموا عيونَهُمُ عن الماضي عن الآتي
وناموا في فراشِ الذلِّ ما اختلجتْ
جوارِحُهُمْ
بل انتشرتْ
فضائِحُهُم
وصبَّ الصِّرب حِقْدهُمْ ، وصوتُ رصاصِهِم لَعْلَعْ
لقد خانوا، كما خانتْ جهاتُ العالم الأربعْ
وغاب الخُبزُ، غاب الأمنُ ، غاب الحبُّ ، غاب العُرْبُ ، غاب العدلُ
والإنصافُ والإسلام واكتأبت قلوبُ الناسِ وانحسرتْ
عن المأساةِ أفواجٌ وأفواجٌ ، من التعتيمِ والتضليلِ والدجلِ
وفاضتْ أدمعُ الأملِ
وسادتْ موجة الإحباط وانتصرتْ

وماتت ثُلة الأطفال وانطفأتْ
بأعينهمْ خيوطُ النورِ للأبدِ
لقد حُرِقوا وأذرعهم مُشَبَكةٌ على الصدرِ
أمامَ الفرن ينتظرون تحتَ القصفِ والتجويعِ دهراً لقمة الخبزِ
وناغاهم حمامُ الجامع الباكي
ورَدَّدَت اليمَاماتُ التي في الجامع المأسور صرخَتَهُم
وعمَّ هديلُها الأنجادَ والوديانَ كالطوفانِ كالبحرِ
هديلٌ يوقظ الأشجانَ يا أبناءَ أُمَّتِنا
تُكرِرُهُ صحافتُنا إذا قُمنا إذا بِتْنا
وخالطنا من الأوهام ما يُوْهِي عزيمتَنا
وما يُدمي كرامتَنا التي طُعِنَتْ
بمديةِ مجلس الخوفِ الذي سَموه مَيْناً "مجلس الأمن"
بسهم عصابةِ الأمم ، وخائِبها الرخيص الأصل والفصلِ
تُرى هل تُحفظُ الأنسابُ إن خَضَعَت لأمرِ الحاقدِ النّغلِ؟
بلا شكٍ يُدنِّسُها - وَضِيْعُ النَّهج - بالوحل
ويقتلُها كما قُتِلَتْ سرايبفو بِخُطّة "مجلسِ الأمنِ"
بخطةِ مجلسِ الأقباط والرومِ
بخطة "مجلس الكرواتِ والصربِ"
وَكَرَّرتِ الإذاعاتُ التي في الشرقِ والغربِ
صدى صوتِ الحماماتِ التي ناحت
وناحَ الغصنُ
ناح البرجُ
ناح الجسرُ والدوحُ
فلم يُجْدِ النّواح الناسَ وانْصَبَّتْ قنابِلُهمْ
وغطت نَوحَ من ناحوا من التُّجارِ قعقعةٌ
وفاضَ القصفُ، ماجَ الجمعُ والمجموعُ واجتمعت
أمام الفرن والفران جَدَّاتُ وأحفادُ
وعضَّ الجوعُ أكبرهم، وأصغرَهم
فَجمَّعهم ، وأرسلهم إلى الفرنِ وحاصرهم ليستمعوا خطاب الكافر الأكبرْ
وخاطبهم خطيبُ الصِّرب بالبارود والمدفعْ
فلم ترجعْ - بُعَيْدَ القصفِ - كوكبةٌ من الجوعى إلى المهجعْ
لقد كُتبتْ بلون الدمّ ملحمةٌ أمامَ الفرنِ تُنبي عن تَخَاذلنا
ستحملها إلى الأجيالِ أجيالٌ وأجيالٌ
سَتَشتُمُنا سلالتنا إذا قرأتْ وقائعنا
إذا عرفتْ مواقفنا تواطؤنا
إذا عرفت تخاذلنا

المسلمون والعالم

التحالف المشبوه بين الهندوس واليهود

أحمد بن عبد العزيز أبو عامر

عاشت بعض الأقطار العربية في عصورها الأخيرة تحت مظلات الحكومات العربية العلمانية التي جعلت من صداقة (الهند الوثنية) واحدة من ثوابتها السياسية العقيمة؛ تارة تحت عنوان (تجمع دول عدم الإنحياز) وتارة تحت عنوان (تجمع دول العالم الثالث) وربما وقفت تلك الحكومات في صف حكومة الهند (الهندوسية) ضد مصالح دول إسلامية كالباكستان ، وضد مصالح شعوب إسلامية في جامو وكشمير. وسكتت عن تدخلاتها في مصالح ذلك البلد وذلك الشعب المسلم وما يعانيانه من حملات عنصرية وهمجية كما حصل عند اكتساح الهند لولاية (حيدر أباد)، و(جامو وكشمير) و(جوكانده). بينما ميول حكومة الهند الهندوسية هي العداء لكل ما هو إسلامي عامة وللشعب الباكستاني خاصة وبالرغم من ادعائها (الحكم العلماني في الهند) إلا أن ميولها، وحكم الأحزاب الهندوسية لها يجعلها تسكت ، وربما ترعى كل المؤامرات التي يحركها الهندوس ضد المسلمين في الهند من قتل وهدم وتشويه لتاريخ الإسلام ، وهجوم على تعاليم الإسلام. في المقررات المدرسية، وليس آخرها هدم (المسجد التاريخي المعروف بالبابري) وما تبعه من هدم العديد من المساجد الأخرى، والقتل والتشريد للمسلمين هناك. وجل إخوانهم المسلمين بعيدون كل البعد عن نجدتهم ونصرهم.

العلاقة بين اليهود والهندوس :

قل من يعلم بوجود حلف بين الهندوس واليهود، مهدت له بريطانيا رغم تأليف العديد من الدراسات العلمية، والوثائقية التي تفضح ذلك الحلف الخطير، وترجمت إلى اللغة العربية إلا أنه قل من يعرفها وبخاصة الصفوة المثقفة، والمتنفذين من الساسة والإعلاميين العرب ، وسأذكر ثلاثة مصادر في هذا الموضوع وهي أهم مراجعي في هذه المقالة.

1- الحلف الدنس : التعاون الهندي الإسرائيلي ضد العالم الإسلامي : تأليف الأستاذ محمد حامد(1).

2- مؤامرة الصهيونية والهندوكية على المسلمين لنفس المؤلف وهو أشبه ما يكون بملخص للكتاب السابق.

3- علمانية الهند: للأستاذ شريف المجاهد، عميد كلية الصحافة في كراتشي (2)، وكل تلك الكتب نشرت بعناية وتقديم الأستاذ (إحسان حقي) وقبل

بيان أوجه التحالف المشبوه بين الهندوس واليهود نرجع إلى تاريخ العلاقة القديمة كما سجلها كتاب الهندوس المقدس (منو سـمـرتي)(3) لـنعلم التشابه بين الديانتين ، وسر التآلف والتحالف بينهما، وذلك الكتاب يعنـي (شـريعة منو) أحد آلهة الهندوس المزعومة. وفيه يجد القارئ كل ما يجب أن يعرفه عن الديانة الهـنـدوسـيـة وزيفها وأحكامها وأهلها، وهذا الكتاب ترجمه العلامة (إحسان حقي) للعربية، ووضح: أنـــــه عـقـد مقارنة بين هذا الكتاب والشرائع السماوية الثلاث (اليهودية والنصرانية والإسلام) وتبين له بجلاء أن الهندوسية هي صنو الديانة اليهودية في (توراتهم المحرفة) وكأنهما من أصل واحد مع اختلافات يسيرة لعلها نتيجة من نتائج تقادم الزمان ، وتغير المكان ، ومن أبـــرز سمات التشابه بين الهندوسية واليهودية ما يلي :
1 - اعتقاد الهندوس أنهم شعب الله المختار، والنظر لغيرهم - وخاصة المسلمين - نظرة احتقار وإهانة، وهذه الدعوى معروفة عند اليهود.
2- تقديسهم ليوم السبت فهم لا يعملون فيه ولا يطبخـــون إلا ما يعتبرونه إنسانياً كقتل المسلم دون حرج. وتقديس اليهود للسبت معروف.
3- تقديسهم (العجل -والبقر) معروف للجميع(*).
4- يشتركون مع اليهود في التجارة والمرابـاة، فالـهـنـدوســي يبـيع السلعة للمسلم ولغيره ولكنه لا يشتري منهما لأنهما نجسين في نظره ، لكن الدراهم التي يأخذها من البيع لهما ليست نجـســة، ومـعـلـــوم أن بالهند يهوداً منذ الزمن القديم. (انظر مؤامرة الصهيونية والهندوكية ص 117 ، والحلف الدنس ص 197).
ومن العجيب أن العقلية التوسعية بين هذين الشعبين واحدة، فاليهود يأملون الوصول في حدودهم من الفرات إلى النيل ، وطموحات الهندوس في مد حدودهم مـــن الـفــرات إلى (الميكونج) في فيتنام ، ليدخل فيها كل بلد يبدأ بلفظ (هندو) كإندونيسيا وبلاد (الـهـند الصـيـنية).
وهناك رابط واضح بين اليهود والهندوس وهو العداء للمسلمين ، رغم العشرة الطويلة التي جمعت بـيـن المسلمين والهندوس في الهند لإثني عشر قرناً تحت الحكم الإسلامي العادل آمنين عـلـــى أرواحهـم وممتلكاتهم وأديانهم. ولم يدخل الإسلام أحد منهم إلا عن اقتناع وحب للإسلام.
كان من المفروض أن يثمنوا ذلك التاريخ المشرق تجاه مواقف المسلمين إبان حكمهم للهند، لـكـنـهم بعد الاستقلال ، وبعد قرن من الاستعمار الإنجليزي كشروا عن أنيابهم وهاجموا المسلمـيــن بـوحشية وهمجية لا يمكن أن تحصل من أمة متحضرة، وما زالت هذه النظرة العنصرية الوحشية يسام بها المسلمون سوء العذاب قتلاً وهدماً وتشريداً، وليس آخرها هدم المسجد (البابري) كما عــرفــنـــا، وما يؤكد تواطؤ الحكومة الهندية الهندوسية في هدم البابري ، أو على الأقل لا مبالاتــهــا بما حصل هو نشر الغسيل الهندوسي

بين حكومة الهند وحزب (جاناتا) من نشرهما لكتابين سماه كل منهما (الكتاب الأبيض) لشرح وجهة نظره حول الموضوع (4).

بداية العلاقة المعاصرة بين الهندوس واليهود:

عرفنا العلاقة الروحية المتمثلة في التشابه بين كتابيهما المقدسين ، وتجدر الإشارة هنا إلى دور بريطانيا في تاريخها الاستعماري وعدوانها على كل ما هو إسلامي.

من إيجاد مراكز نفوذ له وإيجاد مناطق مـتنازع عليها طبقاً لسياستها المعروفة (فرق تسد) فقد فكر الساسة الإنجليز مع بدايات أفـــول إمبراطوريتهم بإقامة قواعد لهم في المناطق الإسلامية لتلعب دوراً مماثلاً لدورهم الاستعماري. وقد نجحوا في التخطيط لإنشاء دولتين خطيرتين من أخطر الدول عداء للإسلام وأهـله ، الأولى لليهود في (فلسطين) بدأت بوعد بلفور الذي أوجد دولتهم ككيان مستقل بـعـد ذلك عام 1948 ، أما المؤامرة الثانية فهي إعطاء القارة الهندية للهندوس ، غير أن توفـيــق الله ثم صحوة رجال الدعوة الإسلامية آنذاك في الهند حال دون ذلك الخطط ، واضـطــروا للاتفاق مع المسلمين على أن تتمتع المناطق ذات الأغلبية المسلمة بالسيادة والاستقلال، ومن هنا قامت دولة (باكستان) إلا أن الإنجليز كعادتهم نكثوا بوعدهم باعطائهم بقاعاً شـاسـعـة للمسلمين وسلمت للهندوس مثل (حيدر أباد الدكن) و(غالبية جامو وكشمير) و(جوناكد).. مـــع تهـيـئة الهنادكة تعليمياً وثقافياً وإدارياً وسياسياً، والمساهمة بتأسيس (حزب المؤتمر الهندي) كـمــا ساهم المؤرخون وعلماء الآثار الإنجليز مع الهنادكة في البحث والتنقيب لاختراع تاريخ مزيــف للهنادكة حتى باللجوء إلى الأساطير والخرافات ، وحولوا (غاندي) من محام بسيط إلى زعيم لعموم الهند بواسطة (اللورد ريدنج) نائب الملك الإنجليزي في الهند، وساهمت الزعيمة اليهودية لرابطة الحكم الذاتي (آني بيزانت) بمسرحية إنجليزية مكشوفة بوضع غاندي في السجن مدة تعظيماً لشأنه ، ثم مُكِّن من تخطي عقبات كثيرة في سياق عمله السياسي مما جعله في عيون الشعب الهندي بطلاً .

عرف الهندوس خطر وحدة المسلمين وصحوتهم في الهند على مخططاتهم فـتـعـاونـــوا مع الإنجليز على نشر الآراء والمبادئ القومية والعنصرية الهندوسية التي وضعها أحد زعمائهم في القرن الرابع قبل الميلاد والمدعو (كوتيليا) وهو يتفوق على (ميكيافيلي) في المكر والدهاء. وهكذا استقلت دولة الهندوس ، وبعد استقلال باكستان أصبح المسلمون وهم أكثر من مائة مليون أقلية في بحر الهندوس والسيخ وغيرهم. وتعرضوا للاضطهاد. ومع ذلك تَزْعم الهند أنها دولة علمانية، وتخدع الدول العربية والإسلامية، وهي وثنية هندوسية مطلقة كـمــا أوضحت ذلك الأيام والأخبار، وساعدهم الإنجليز في النهضة والتقدم التقني مع أنها من أفقر دول العالم ومن أضعفها في دخل الفرد.

عود على بدء: للعلاقات اليهودية الهندية المعاصرة

بعد ثلاثة أشهر من قيام دولة العدو الصهيوني عام 1948م الذي كان انتهاكاً صارخاً لكل شــرائع العالم ، وتحد واضح للمنظمات الدولية بسلب وطن وطرد شعب من أرضه وجدنا (الزعـيم الهندي المحبب لحكام العرب) (نهرو)، آنذاك في البرلمان الهندي يقول : "من البديهــي أن نعـتــرف بواقـع قائم وهو أن إسرائيل دولة قائمة"، وبعد إعلان الاعتراف الرسمي أعلن ناطق رسمي هـنــدي أن إسرائيل موجودة وأنها خلقت لتبقى"، وقد عملت الهند طوال السنتين الماضيتين بتعاون قائم مع إسرائيل.. وأنشأ العدو الصهيوني (قنصليته في بومبي) فكانت حصناً قوياً للتعاون بين الدولتين المعاديتين للعرب والإسلام.

يقول الأستاذ محمد حامد: والحقيقة إنها لم تكن قنصلية بالمعنى المتعارف عليه دولياً بل كانت مستعمرة كاملة الجهاز تـضــم أكـثـــر من مائتي موظف ، وكان لها من الإمكانات والسيارات ما يفوق ما لدى السفارات العربـيــة في الهند، ولها دور ضخم في تغيير الرأي العام لصالح العدو الصهيوني، وقد بقي الهندوس يلعبون لعبتهم السياسية بدعوى حيادهم بين العرب واليهود كذباً وبـهـتـاناً حينما زعموا أن اعترافهم بدولة العدو الصهيوني إنما كان اعترافاً بالأمر الواقع. لمعرفتهم بردود الفعل العربية آنذاك لو كان الاعتراف كاملاً".

موقف الهند من العدو الصهيوني في مؤتمر (باندونج)

كان الموقف الهندوسي واضحاً من العدو الصهيوني عام 1955م حينما عقد مؤتمر باندونج بإندونيسيا حيث دعا (نهرو) - نصير العدل والسلام المزعوم - إلى إشراك العدو الصهيوني في ذلك المؤتمر بدعوى: أن دولتهم معترف بها من الأم المتحدة وترتبط بها العديد من دول عدم الإنحياز بعلاقات ديبلوماسية، وحـيـنـمـا علمت الدول العربية بذلك هددت بمقاطعة المؤتمر فألغي اقتراح نهرو.

التعاون العسكري بينهما:

بعد مراسم الاعتراف بين الدولتين زارت الهند وفود رسمية صهيونية لتوثيق عرى التعاون بين البلدين وبخاصة في النواحي العسكرية، ومن أشهرها عام 1962 م الوفد الذي كان برئاسة (الادان بركمان) العضو في وكالة الطاقـــة النووية للتوقيع مع الهند على اتفاقية التعاون النووي بينهما، وتم التوقيع عام 1963م بـيـــن الوفد الصهيوني برئاسة (دافيد شفيل) ورئيس أركان الجيش الهندي على اتفاقية سـريـــة وكان موضوعها تزويد الهند بالأسلحة، وتدريب العسكريين في المؤسسات والكليات العـسـكـرية، وكان لهزيمة العرب سنة 1967 م صداها باغتباط الهندوس بانتصار العدوان الصهيـونــي ، وقال وزير دفاع الهند: أننا حريصون على معرفة كيف تمكنت إسرائيل من تعبئة جميع قواتها في غضون 24 ساعة وبطريقة أدت إلى نتائج إيجابية مؤكدة. ومن

العجيب أن ينشر ضمن ما نشر من خفايا هزيمة 67 دور عديمي الخبرة من الضباط الهندوس الذين كانـــوا يدربون الطيارين المصريين ، وكانوا عملاء للاستخبارات الصهيونية وقد وصل الخبر خطأ ونشر في غانا في 20 أيار عام 1970م مما كشف المستور. وما زال التعاون بينهما مسـتـمــراً وإن أخذ صفة السرية غالباً.

التعاون النووي :

بريطانيا وضعت أساس البرنامج النووي للهند بعد الاستقلال وشجعت الـكـوادر الهندية لدراسة ذلك التخصص ، ولما أرادت الهند التوسع في برنامجها النووي وجدت في اليهود ضالتها حيث أنشأت مفاعلاتها النووية في العديد من مدنها مثل (كلكام) و(بهابها).. ومعلوم أن العدو الصهيوني يمدها بالخصبات النووية، وكان لكندا دور في دعـــم برامـج الـهـنـد النووية ثم ادعت كندا أنها فوجئت بقيام الهند بالتفجير النووي وكان (للاتحاد السوفييتي) الـسـابــق دور كبير أيضاً في دخول الهند (عالم الفضاء) حينما ساعدها على إطلاق قمرها الصناعي الأول (آريــا بـهـارتا) من الأراضي السوفيتية آنذاك في 19 نيسان 1974 م.

التعاون الاقتصادي بين اليهود والهندوس:

من صور التشابه بين هذين الشعبين عبادتهم للمال واستعمالهم الربا، ومن خلال معاملة الهندوس للفقراء والفلاحين، وخـاصـــة المسلمين لا تختلف عن معاملة اليهود إذ كانوا يستولون على أراضي المسلمين ، ويقرضــونـهــم المال كلما ساءت المحاصيل ، ويرتهنون الأراضي حتى يتم الدفع ، وكان القضاء الهندوســي ينقل ملكية الأراضي للمرابين كلما عرضت لهم قضية مما أدى إلى استيلائهم على مساحـــات شاسعة من أراضي المسلمين ، ونشأ فيما بينهم ما سمي بالملف الصامت القائم على إنشاء (الشركات المتعددة الجنسيات) حيث تستعمل كواسطة للعلاقات المتبادلة بينهما وتستطيع أن تعمل لصالح الصهاينة. وأشار إلى فاعلية هذه المؤسسات (مايلز كوبلاند) في كتابه (عالم التجسس الحقيقي). وهناك بيانات توضح الآثار الكبيرة للتعاون بين اليهود والهندوس، ودور الـقـنـصـلـيــة الصهيونية في تدعيمها مما يضيق المجال عن بيانه، وبخاصة في كتاب (التحالف الدنس) الآنف الذكر.

التعاون الاجتماعي :

معلوم أن للعدو الصهيوني دور بارز في توطيد العلاقات بين الصهاينة وبين الشعوب التي لا تعرف حقيقتهم العدوانية ولا تعلم منطلقاتهم العـنـصـرية، وهذا ما فعلوه مع إخوانهم الهندوس ساعدهم على ذلك وجود جالية بل طائفة يهوديـة فـي الهـنـد، إضافة إلى دور القنصلية الصهيونية في بومبي في دعم العلاقات بين البلدين، وتوجيه الرأي العام الهندي غير المسلم لتأييد الصهاينة

عن طريق إقامة الحفلات في المناسبات واستدعاء صفوة المثقفين من كافة فئات الشعوب الهندية، وتارة تستغل التسميات الساذجة مثل (مجلس المواطنين) للدعاية وتوثيق العلاقات الاجتماعية بين أولئك المدعوين ، وفي عـــام 1962 م أسمت جمعيات (أصدقاء إسرائيل) والتي تضاعفت بعد حرب 1967م تحت مسمى (مؤسسات الصداقة الإسـرائيليـــة الهندية) في طول البلاد وعرضها تحت رعاية أعضاء البرلمان والشخصيات السياسية ورجال الأعمال. ومن مهامها توثيق روابط التفاهم والأخوة وتبادل المنافع بين الشعبين والحكومتين ، ومن أشهر الأحزاب ذات العلاقة الوطيدة مع الصهاينة حزب (جان سنغ) و(جناتـا) الهندوسيين الإرهابيين. وكذلك مختلف الأحزاب العلمانية حيث تقوم بينهما زيارات متبادلة وليست الأحزاب الأخرى أقل اندفاعاً للولاء للصهاينة مثل حزب (المؤتمر) والذي كثيراً ما يسمي أعضاؤه (العرب) بالمعتدين ونجد حزب (سوانتا نترا) يندد بطلب العرب من الهند قطع علاقاتها مع الصهاينة، وللصحافة الهندوسية في دعم العدو الصهيوني دور كبير وليس من المبالغة أنهم صهاينة أكثر من اليهود أنفسهم ، وتتوالى الزيارات بينهم ومن خلال المتابعة للصحافة الهندوسية نجد موالاة اليهود سمة بارزة من سمات الصحافة الهندوسية ومن جانب آخر نجد العلاقة الثقافية والفكرية بين اليهـــود والـهـنـدوس بارزة أيضاً بالدعاية للأدب الصهيوني وترجمتهم للأدب الهندي الوثني.

خطر اليهود والهندوس على المسلمين :

الخطر الصهيوني مـعــــروف وأساليبه مكشوفة، أما خطر الهندوس فهو القائم ، ولم يتم الكشف عن أبعاده التي تتمثل فيما يلي :

1- أن الحكومة الهندية بالرغم من إعلان علمانيتها إلا أنها تخضع للأحزاب الهندوسية التي تملك مراكز قوى تؤثر في صنع القرار، وما موقفها غير المبالي من هدم المسجد البابري عنا ببعيد، وتواطؤ الشرطـــة والجيش الهندي مع المتطرفين الهندوس كالشمس في رابعة النهار. ومضايقتها للمسلمين فـي أرزاقـهـــم ومدنهم ومساجدهم وحتى تشريعاتهم لم تعد مجهولة، وبالرجوع إلى كتاب (المسلمون فـي الـهـنـــد بين خدعة الديموقراطية وأكذوبة العلمانية) نجد مصداق ذلك(**).

2- المسلم الهندي حين ينشأ في محيط وثني ولا يرى أثراً لمظاهر الإسلام يتراخى رويداً رويداً وخاصة أمام الاضطهاد والجهل والجوع والمرض بدءاً بتغيـير الاسم وانتهاء بتغيـير الدين ، وهذا ما حدث بالفعل جراء ما يعانونه من مضايقات تحت سمع وبصر الحكومة الهندية الوثنية.

3- إن المسلم هناك أمام تلك الضغوط الكبيرة وإهمال إخوانه المسلمين له ، لا ينصرونه ولا يعملون لرفع الظلم عنه ، يعاني ما يعاني من أخـطـــار. فماذا صنعنا لهم؟ وما هو واجبنا تجاه إخواننا المسلمين في الهند؟

يفترض فينا نحن المسلمين ألا نجهل عداء أولئك الكافرين لنا، وهذا أمر صريح في القرآن الذي نقرؤه ليل نهار في أكثر من آية ومنها قوله تعالى : ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا))[التوبة 82].
يجب أن يفكر كل مسلم بالأطروحات المؤيدة للصلح مع اليهود. لأننا نعرف من هم اليهود؟ وما هو العداء الذي يكتمونه لنا ولديننا، وما آثار السـلام عليهم؟ ويجب على كل مسلم بشكل عام وكل مسؤول بشكل خاص أن يبذل كل ما في وسعه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. وأن يقوم المسلمون جميعاً كل فيما يستطيع بذله لنصرة هذا الـديـن ، وعلى كل الحكومات في البلاد الإسلامية أن تضغط على هؤلاء الأعداء لرفع يد الضر عــن إخــوانــا المسلمين المستضعفين في الهند وفي غيرها، وإتاحة المجال لهم لأداء عباداتهم وحفظ مسـاجـدهم واحترام تشريعاتهم ، وألا يهاجم الإسلام في وسائل إعلامهم ولا في مناهجهم الدراسية، وعلى المسؤولين أن يهددوا بكل ما من شأنه تعكير العلاقات مع تلك الدول الظالمة. فهم المـحـتـئـــــاجون لنا ولسنا بحاجة لهم. وإذا وجدوا أننا صف واحد وقلب واحد رضخوا راغمين ورفعوا ظلمهم ، وحينها تعود لإخواننا مكانتهم رغم أنف الظالمين وإن أي تساهل في ذلك يبوء بإثمه كل مفرط في نصرة هذا الدين ، فإن من يرى الإسلام وأهله يهانون وهو قادر على نصرتهم ولا يفعل شيئاً، لا شك أنه منافق معلوم النفاق. وأن أي تساهل في ذلك هوان وأي هوان ، وخيانة للواجب وانهزامية ((إنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً))[الطارق 15-17].

الهوامش :

* ربما كان لعجل السامري علاقة بذلك.
** للشيخ أنور عالم أميني.
1- نشر الكتاب (مجلس شؤون المسلمين في العالم)، إسلام أباد، باكستان ص 198.
2- نشرته مؤسسة الصحافة - بيروت.
3- ترجمة الأستاذ إحسان حقي.
4- أنظر صحيفة الحياة العدد 11026 في 29/10/143هـ.

دراسة في الجغرافية البشرية للهند

المسلمون في الهند
أقلية تتجاوز المائة مليون

د. علي عبد الرحمن عواض

الهند بالأرقام (*):

تعتبر الهند من أكبر دول العالم ، إذ تتجاوز مساحتها 3.287.263 كم 2. تمتد من الشرق إلى الغرب بعرض 2933 كم ، ومن الشمال حتى الجنوب بطول 3214 كم . تمتد حدودها مع الدول المجاورة إلى15.500كم منها ما يقارب 7.517 كم سواحل وهي سابع دولة في العالم من حيث المساحة.

أما من حيث تعداد السكان ، فهي الدولة الثانية عالمياً وعدد سكانها يتجاوز الـ844.324.222 نسمة حسب إحصائية 1991م. ولا يتوزع البشر بالتساوي فبعض المناطق الهندية مكتظة بالسكان وبعضها تكاد تكون خالية. وأسباب ذلك عدة عناصر أهمها: خصوبة الأرض ، ومستوى هطول المطر، ووسائل الزراعة والاتصالات ، والوضع السياسي إلى جانب عناصر اجتماعية ودينية أخرى. ونسبة الكثافة السكانية في المناطق الهندية هي 267 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد. وتتفاوت النسبة بين الولايات الهندية : فعدد السكان في الكيلومتر الواحد في البنغال الغربي هي 766 نسمة، أما في كيرالا فهي 747، ويصل في بيهار إلى 497، وإلى 78 في فيعالايا، و 33 في ميزورام ، و10 في ارونشال باراديش.

تعتبر نسبة النمو السكاني في الهند من النسب العالية دولياً حتى بين معدلات دول العالم النامية. فمعدل الولادات 30.4 في الألف والمعدل العالمي 27.1 في الألف ، ومعدل الوفيات 10.2 في الألف والمعدل الدولي 9.9 في الألف ، وبهذا تكون الزيادة السكانية الطبيعية : 20.2 في الألف والمعدل الدولي 17.2 في الألف. ومعدل الأعمار هو 58.1سنة للرجال و59.1سنة للنساء.

يعتبر المجتمع الهندي من المجتمعات المتخلفة من نواح عدة أهمها: الجانب التعليمي التربوي إذ أن ما يزيد عن 64.8% من السكان يعانون الأمية الكاملة بينما 7.1% حصل على التعليم الابتدائي فقط ولا يتجاوز خريجو الجامعات والحاصلين على درجة علمية عالية على 2.5% من السكان.

الهند.. القوميات والعقائد:

تعج الهند بخليط من البشر الذين يتفاوتون في الشكل والعرق واللغة والدين والطبقة الاجتماعية.. ففي شبه القارة الهندية ما يزيد عن خمسمائة لغة محلية، واللغة الرسمية هي الهندية. ويعتنق الهنود عدداً هائلاً من المعتقدات والأديان تتفاوت ما بين الديانات السماوية إلى عبادة الأصنام والنار والأبقار.. عبادة البشر. والهندوس يمثلون 82% من السكان وهم الغالبية العظمى. كما أنهم مقسمون إلى طبقات اجتماعية وأعراق ومذاهب.

وتصل نسبة المسلمين إلى 12% تقريباً معظمهم من أهل السنة ويتبعون المذهب الحنفي، كما يوجد هناك أصحاب المذاهب الأخرى المنحرفة والتي تحسب على الإسلام كالأحمدية والبابية، والبهائية والقاديانية والإسماعيلية. كما أن للشيعة تواجد في الهند.

ونسبة النصارى 2.43 %، والسيخ إلى (1.97 %)، والبوذيون (1.71 %)، والجاين (0.48 %)، والمجوس (0.01 %). وتبرز في الهند

الممارسات والطقوس الغريبة والمعتقدات المجهولة إلى جانب مجموعة قليلة جداً من اليهود.

المسلمون على الخارطة الهندية :

تفيد إحـصـائيات العام 1991م أن عدد المسلمين يزيد عن 96 مليون نسمة (وأكثر من مائة مـلـيــون في 1993م). وقد تصاعد عدد المسلمين في الهند في النصف الأخير من هذا القرن (منذ الاستقلال) على النحو التالي:

السنة	عدد المسلمين	نسبة النمو	النسبة للسكان	الازدياد الإسلامي
1951	35.44.284	---	9.91	---
1961	46.940.799	25.61	10.70	0.79
1971	61.417.934	30.85	11.21	0.51
1981	75.512.489	30.59	11.35	0.14
1991	96.655.922	28.00	11.45	0.10

يقيم مسلمو الهند بشـكـل عــام في المناطق الغنية بالمياه والثروات النباتية في شمالي الهند وعلى الشواطئ في الجنوب والجـنـوب الغربي وليس لهم وجود ملاحظ في مناطق الجبال والأدغال. ويتواجد المسلمون بشـكــــل كبير في ثلاث مناطق شمالية أساسية هي : بيهار والبنغال الغربي وجامو وكشمير إذ أن 25.1% من مسلمي الهند يتواجدون في هذه الولايات الشمالية الثلاث. كما يقطن 22.4% أي خمس المسلمين في الهند في أربع ولايات جنوبية هي : كيرالا، أندهار باريش، كارناتاكا وتاميل نادو. كما يعيش14.9 % أي سبع مسلمي الهند في أربع ولايات غربية هي : راجستان ، كجرات ، ماهارشاترا وغولا. كما يوجد 5.05% منهم في الولايات الشمالية الـشـرقـيـة و3.86% في الولايات الشرقية. وتوجد أقل نسبة للمسلمين في ولايات تشاها يسفارا واندكاريانا.

ويُرجع الدارسون السبب في خلو المناطق الجـبـلـيــة والأدغال (في مناطق غودافاري) من المسلمين إلى أن المنطقة كانت ولا زالت تُسكن من قـبـائــــل لا تقبل التعامل مع الآخرين ويتميزون بالعدائية والانطوائية حيث أنه لا مجال للدخــول إليهم أو التكلم معهم. أما المناطق التي تقطنها مجموعات إسلامية لا تتعدى الـ1 % مــن السكان هي : البنجاب ، هايريانا، هيكاشال باراديش، أردناكالي باردايش، ناغالا لاند، ميزورام ، ميغاليا، آسام. وانخفاض هذه النسب نتيجة لحملات التهجير القسري عام 1947م ، وقد كانت النسبة في هذه الولايات تتراوح بين l5-33% من المجموع العام للسكان في ولاية هيراما، و 23- 50% من سكان ولاية البنجاب.

في الولايات :
لن نستعرض كثيراً ولاية جامو وكشمير مع أنها الولاية الوحيدة ذات الغالبية الإسلامية في الهند..
1 - أوتار براديش : وتأتي من حيث الترتيب الرابعة بالنسـبــة للـمـساحة، ويصل عدد المسلمين فيها إلى 23 مليون نسمة حسب إحصائية عام 1991م. وأهم المـقـاطـعــات التي يسكنها المسلمون في هذه الولاية هي : مراد آباد (38.06%)، ساهار نابور (31.57%)، بجنوري (39.45%)، رامبرر (47.22%) ، وأقل نسبة للمسلمين تتواجد في مـنـشـة باندا (5.51%).
2- البنغال الغربي : تصل نسبة السكان إلى 766 شخص في الكيلومتر المربع وتوجد فيها مقاطعة مرشد آباد أكبر تجمع إسلامي في الهند إذ يصل عددهم إلى 2.170.000 شخص بنسبة تصل إلى 58.76% من السكان. أما أقل نسبة في مقاطعات هذه الولاية فهي مقاطعة بنمورة (5.65%) ودارجلنغ (3.64%). ويعتبر كثير من مسلمي هذه الولاية امتداد لمسلمي بنغلادش. والعدد الإجمالي لمسلمي هذه الولاية هو 15.267.000 نسمة.
3- بـيـهار: وفيها ثالث أكبر تجمع إسلامي في الهند وتقع بين ولايتي أوتار بارديـــش والبنغال الغربي ، ومساحتها 123.877 كم 2 وعدد السكان 86.339.005 نسمة، وعدد مقاطعاتهــا 42 مقاطعة. وفيها 13% من مسلمي الهند. وكان عدد المسلمين في الولاية عام 1951 م 4.314.000 نسمة، نـسـبـــة الـمـسـلـمـيـن بينهم 11.28%، وارتفع العدد إلى 12.874.993 عام 1991.
4- مهارشترا: ويبلغ عدد المسلمين في هذه الولاية 7.606.000 نسمة، نسبتهم إلى العدد الإجمالي 9.25%. ومعظم المسلمين يقطنون في مقاطعـــات : بومباي ، جالفون ، برهاني ، نانديد، عثمان أباد، بولدانا.. وتتدنى نسبتهم في مقـاطـعـــة بندارا إلى 2% من مجموع السكان.
5- كيرالا: يقطن في هذه الولاية ما يزيد عن 6.492.000 نسمة. وتصل النسبة فيها إلى 747 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد. ونسبة المسلمين هي 12.25%.
6- اندهرا براديش : عدد سكانها 66.355.000 نسمة، ونسبة المسلمين بينهم 8.47%. وأهم المقاطعات التي يقطنها المسلمون هي كورنول ونسبتهم (17%) وفي حيدر آباد ونسبة المسلمين فيها (27%) و هي من أهم المراكز الثقافية والتراثية للمسلمين في الهند.
7- كارناتاكا: يبلغ تعداد المسلمين في هذه الولاية5.213.005نسمة، ومساحتها 191.791 كم 2. ونسبة المسلمين فيها11.05%. أهم المناطق التي يسكنها المسلمون كولارغا (18 %) وييدار (19 %) ونسبتهم من 5-10% في عشرة مقاطعات.

8- جامو وكشمير: وقد اتسع الحديث عنها في العددين السابقين للبيان ، حيث أن هذه هي الولاية الوحيدة في الهند ذات الغالبية المسلمة،. ويحـــاول أبناؤها الاستقلال وإقامة دولة لهم.
9- آسام : عدد سكانها 22.295.000 نسمة ومساحتها 78.438 كم 2 ونسبة المسلمين فيها 24.03% من مجموع السكان.
10- كجرات : مساحتها تقدر بـ 196.024 كم 2 وعدد المسلمين 2.908.000 نسمة (عام1981)، ونسبة المسلمين بينهم 8.53%. وأهم المقاطعات مقاطعة أحمد آباد وتصل نسبة المسلمين فيها إلى 11%.
11- تاميل نادو: مساحتها 135.038 كم 2 وعدد سكانها 3.024.050 نسمة، وعدد مقاطعاتها 21. ونسبة المسلمين فيها 5.21%. وأهم مناطق المسلمين كانياكوماري وتانجافور.
12- مادهيا براديش : تبلغ مساحة هذه الولاية 442.44 كـم 2، وعـــدد سـكـانـهـا 66.136.000 نسـمـة. ونسبة المسلمين فيها 4.80% من مجموع السكان ، وأهم مناطقهم راتلام ، أوجيان.. (مجموع عدد المسلمين 3.303.000 نسمة).
13- راجستان : مساحتها 342.239 كم 2 وعدد سكانها 43.881.000 نسمة. ونسبة المسلمين 4.05% من السكان (عدد المسلمين فيها 3.315.000 نسمة).
14- هاريانا: مـسـاحـتـهـا 44.212 كم 2، ويبلغ تعداد المسلمين فيها 523.536نسمة، ونسبة المسلمين فيها 4.02%مـــن مجموع السكان. وأهم المقاطعات فريد آباد (11.27%)، جورجوان (30.8%). وعدد سكانها 16.315.000 نسمة.
15- دلهي : وتتجاوز مساحـتـهــا 1.483 كم 2، وعدد سكانها يقارب العشرة ملايين نسمة، وعدد المسلمين فيها 1.031.056 نسمة؛ أي بنسبة 11.4% من مجموع السكان.
وهناك عدد من الولايات نسبة المسلمين ضئيلة جداً لا تتجاوز 1% من مجموع السكان في بعض الأماكن..
إن المجموع النهائي لمسلمي الهند هـــــو موضـــع خلاف بين المصادر. فبينما تكاد تجمع المصادر الغربية على أنهم لا يتجاوزون المائة مليون ، نجد أن المصادر الإسلامية تلمح إلى أرقام أعلى من ذلك تصل إلى 120 مليون وأحياناً إلى 145 مليون. (راجع جدول 1 و 2).

الحاضر.. ونظرة إلى المستقبل :

المجازر التي تناقلت الصحف أخبارها مع نهاية شـهـــــر أبريل الماضي ، والتي ذهب ضحيتها مئات المسلمين معظمهم من النساء والأطفال وكـثـيـر منهم أحرقوا أحياء، تنذر بخطر جديد على مسلمي الهند. تقع ولاية مانيبور في شـمـــال شرقي الهند، وهي على الحدود مع بورما. ولم تشهد سابقاً حوادث

عنف بين المسلمين والهندوس ، بل إن الولاية كانت ملجأ لعدد من المسلمين الذين هربوا من الاضطهاد البـورمي للمسلمين (1992م) في ولاية أراكان الإسلامية الواقعة تحت السيطرة البورمية. فـانــدلاع حـمــــلات العنف والاضطهاد في مثل هذه الولايات يعني إيقاظاً للأحقاد الدفينة ضد المسلمين في المناطق التي تشهد تسامحاً نسبياً مع غيرهم.
مع أن المجازر بحق المسلمين كانت ولا زالت ترتكب بشكل متكرر في الهند لكنها لم تؤثر عـلـى قرار السياسة الهندية حتى العام 1989م حيث تفجرت قضية مسجد الـبـابـــري واندلـعــت الانتفاضة في كشمير إلى جانب التغييرات في الإطار الإسلامي المحيط فبدأت ترتسم أطر لسياسة جديد تجاه المسلمين في البلد. وفي عام (1989) قتل 500شخص (حسب الإحصائية الرسمية الهندية) علي الأقل في الاضطرابات العرقية والدينية، وهذا الرقم هو ضعف الـرقـــم للعام الماضي وتد ميز هذه الاضطرابات أنها حدثت في ولايات : أوتار بارديش، كارانتاكار، بيهار، مادهيا بارديش ، جرنمارات ، ماهراشترا.. وهذه الولايات لم تشهد أية اضطرابات عرقية ودينية منذ تقسيم الهند. مما اعتبره المراقبون السياسيون بداية تحول جديد في التعامل مع الوجود الإسلامي في الهند. الملاحظ أن أية محاولة لتحسين ظروف المسلمين في الولايات الهندية يلقى مقاومة قاسية من الأكثرية الهندوسية.
وهذا الواقع يعاني منه معظم الأقليات الإسلامية فليس المسلمين في بورما أو الفلبين بأفضل حال من إخوانهم في البوسنة أو الهند. وليس الحقد البوذي هناك بأقل منه عند الصليبي الحاقد أو الهندوسي الفاجر. ولا يتردد دعاة الشيطان وجنوده من التصريح بأن معركتهم مع الإسلام والمسلمين لن تنتهي ما دام للدين قائمة. فهل يقدّر المسلمون أبعاد كلمة (بال تاكري) (زعيم مجموعة شيف سيفا الهندوسية): "لقد خرج النمر الهندوسي من قفصه والويل لمن يقف في طريقه".

المسلمون حسب توزيعهم في ولايات الاتحاد الهندي :

الولاية	عدد المسلمين	النسبة المئوية
1- جاموا وكشمير (Jammu& Kashmir)	3.843.451	64.49%
2- البنغال الغرب (west Bangal)	11.743.259	21.51%
3- كيرالا (Kerala)	5.409.687	21.25%
4- أوتار براديش (Uttar Pradesh)	17.657.735	15.93%
5- بيهار (Behar)	9.874.993	14.13%
6- كارناتاكا (Karnataka)	4.104.616	11.05%
7- مانيوبار (Maniupar)	1.600.000	10.00%
8- ماهاراشترا (Maharashtra)	5.805.785	9.25%

الولاية	العدد	النسبة
9- غوجارات (Gujarat)	2.907.744	8.53%
10- أندهرا براديش (Andhra Pradesh)	4.533.700	8.47%
11- راجاستان (Rajastthan)	2.492.145	7.28%
12- تاميل نادو (Tamil Nadu)	2.519.947	5.21%
13- مادهيا براديش (Madhya Pradesh)	2.501.919	4.80%
14- أوريسا (Orissa)	422.266	1.60%
15- البنجاب (Punjab)	168.094	1.00%
المجموع في الولايات الرئسية(*)	77.112.439	%11.35
المسلمون في الولايات الأخرى(**)	21.025.466	%0.9-0.1
المجموع العام لمسلمي الهند(***)	98.137.895	%11.5

* الأرقام مأخوذة عن إحصاء عام 1981 (وهي غير دقيقة بشأن نسبة المسلمين للسكان في جاموا وكشير حيث أن نسبة المسلمين فيها يبلغ 68% من السكان لكن الإجمالى موثق ، كما أن ولاية آسام لم تضمن في الإحصاء).
** المسلمون من الولايات الأخرى تقل نسبتهم عن 1% من السكان.
*** عن الموسوعة البريطانية 1991.

التواجد الهندوسي في البلاد العربية والإسلامية (*)

الدولة	العدد
أفغانستان	120.000
الجزائر	500
البحرين	20.000
بنغلادش	11.000.000
بروناي	500
تشاد	20
مصر	5000
غامبيا	500
غينيا	50
أندونيسيا	5.000.000
إيران	10.000
العراق	5000
الأردن	1000
الكويت	10.000
لبنان	100

ليبيا	500
ماليزيا	1.095.000
المغرب	50
نيجيريا	22.000
باكستان	1.100.000
قطر	500
السعودية	5000
السنغال	100
سيراليون	500
الصومال	5000
السودان	500
سوريا	100
تانزانيا	60.000
تونس	100
تركيا	100
الإمارات	15.000
المجموع	18.482.120

الهوامش:

* المصدر: مجلة "Hindusm Today" (الهندوسية اليوم) 15 نوفمبر 1992.
* الأرقام والنسب مقتبسة من "الموسوعة البريطانية" عام 1992 /ومن نشرة Radiance عدد 5- 11 آذار 1992م ، ص 66-68، بعنوان : سكان الهند المسلمون ، للكاتب الدكتور. م. مطيع الرحمن.

القرآنيون وشبهاتهم حول السنة

تأليف : د. خادم حسين بخش

عرض : عثمان جمعة ضميرية

أنـكـرت فـئـة ضــالـة حجية السنة النبوية كخطوة على طريق إنكار حجية القرآن الكريم نفسه، ثم انقرضت تلـك الفــئة، لتظهر في هذا القرن بصور جديدة، حيث ظهرت في شبه القارة الهندية بزعامة غلام نبي الـمـعـروف بـ "عبد الله جَكْرَالَوِي" وكان من أبرز دعاتها مع آخرين ساعدوه في ذلك ، وسموا أنفسهم باسم "أهل القرآن".

وساعدت على قيام الحركة عدة أسباب ، أهمها:

ا- المناخ الذي هيأته حركة السيد أحمد خان.

2- الاستعمار بأساليبه المختلفة حيث كان الإنجليز يسيطرون على الهند وباكستان.
3- هزيمة بعض المسلمين النفسية أمام الحضارة الغربية.
كافح علماء شبه القارة الهندية فكرة "أهل القرآن" منذ وجودها، وذلك لما يترتب عليها من خطر وردة عن الدين ، وقاموا بتفنيد شبهاتهم ، وذلك بدراسات علمية كشفت ضلال هذه الفرقة وفندت جوانب الـزيــف والانحراف لهذه الحركة في مجال السنة والقرآن والعقيدة والعبادات والتشريع الإسلامي. وقد تصدى لهم الأستاذ الباحث خادم حسين بخش، فقدم هذه الدراسة "القرآنيون وشـبـهـاتـهـم حــول السنة" وهي أطروحة جامعية تقدم بها لنيل درجة الماجستير من كلية الـشريعة والدراسـات الإسلامية بمكة المكرمة. وقد طبعتها مكتبة الصديق بالطائف في مجلد واحد.

جاءت هذه الرسالة في بابين وخاتمة :

أما الباب الأول فقد عالج فيه المؤلف فكرة إنكار السنة قديماً وحديثاً، فتحدث عن تاريخ فرقة القرآنيين والأصول التاريخية لها.
وأما الباب الثاني فقد جعله خاصاً لدراسة أفكار القرآنيين ، ويقع في أربعة فصول.
عرض في الفصل الأول شبهات القرآنيين حــول الـسـنــة مع مناقشتها، وفي الفصل الثاني دراسة لمنهج القرآنيين في تفـسير القرآن الكريم. وفي الـثـالـث عـــرض ومـنـاقـشـة لآرائهـم الاعـتقـادية في مسائل وأحكام اعتقادية كثيرة. وفي الفصل الأخير عرض لآراء الجماعة في جوانب الشريعة، فتحدث عن موقفهم من العبادات والعقوبات والمعاملات ، وعن موقفهم من الحدود، والميراث.. وكانت الخاتمة خلاصة عامة، تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. ويليها ثبت المراجع العربية والأجنبية وكان عددها وفيراً ومتنوعاً. هذا وقد اجتمعت لهـذه الرسالة ميزات جمة تجعلها جديرة بالقراءة والاطلاع ، فهي رسالة علمية كتبها باحث مـطـلـع عـلـى أفكار الجماعة عن كثب، ويـقـــرأ لهم بلغتهم ولسانهم ، مع حماس لدينه وعقيدته ، فنسأل الله تعالى أن ينفع به وبما كتب.

مقابلة

البيان تحاور المتحدث الرسمي باسم حزب النهضة الإسلامي في طاجيكستان

أجرى الحوار: د. مالك الأحمد

ضـيف "البيان" في هذا اللقاء هو سيد قيام الـديــن غازي المتحدث الرسمي لحزب النهضة الإسـلامي في طاجيكستان ، وهو من الخمسة المؤسسين لهذا الحزب وعضو مجلس الشورى فـيه ، وهو خطيب الحزب المفوه الذي كان يخـطــب فـي الجـمـاهـير المحتشدة في ميدان الشهداء في دوشنبه أيام الاعتصام ، وكان عددهم يربو على المائتي ألـف، وكــان الـنـاس يستمعون لتوجيهاته ، ولم ينفضُّوا إلا بعد أن أمرهم بذلك.

*** يستغرب الكثيرون الظهور القوي والمفاجئ لحزب النهضة في طاجيكستان فكيف تعلل ذلك؟**

يظــن الكثيرون أن حزب النهضة وليد السـنـوات القليلة السابقة وهذا غير صحيح ، نحن كنا نعمل منذ 15 سنة لكن جهادنا كان سريــاً، كنا نعلم أبناءنا في الإسطبلات والسراديب كي نحفــظ عليهم دينهم. لكن بعد سقوط الشـيـوعـيـة أنشأنا الحزب كي يكون واجهة لنا، ورغم ذلـك لم نكشف كل ما لدينا خوفاً من الشيوعـيـيـن الذين ما زالوا على رأس الحكم، فـقــد خشينا أن ينضم الناس نظراً لجهلهم وتشوقهم للحرية إلى الأحزاب الجديدة الوليدة وبعضها إسلامي الاسم؛ كالحزب الديمقراطي الإسلامي لكنها كانت علمانية التوجه.

*** كيف سمح لكم الشيوعيون بإنشاء الحزب رغم أن كثيراً من البلدان الإسلامية تعارض إنشاء أحزاب ذات توجه ديني إسلامي؟**

ظن الشـيـوعـيــون أن الإســلام قد دفن وللأبد في بلادنا وبالتالي فلا خوف من ظهور حزب إسلامي لأنـه في نظرهم مـهـزوم لا محالة، لكن الله رد كيدهم وظنهم في نحورهم ، فانطلق الشباب للدعوة في أصقاع البلاد، وأنشأت المساجد، وظهر الحجاب ، وعم الخير في بلادنا ولله الحمد.

*** كيف تطورت الأمور بعد ذلك؟**

بـعـد انتشـار المد الإسلامي خلال سنتين تقريباً صدم الشيوعيون بهذا الأمر وكان التخوف لــدى الـروس أيـضــاً، وعقــدوا اجتماعات كثيرة متتالية لدراسة خطة ملائمة لمقاومة المد الإسلامي ، وبعدها أصـدر (الـبـرلمان) الكثير من القرارات الجائرة للتضييق على المسلمين ، وحبسوا بعض العلماء، وشددوا على حزب النهضة، فاضطررنا للخروج ومواجهة الحكومة سلمياً عن طريق الاعتصام بميدان الشهداء، وجلسنا أياماً مطالبين بتغيير الحكومة، وإلغاء الأحكام الظالمة ضد العلماء، وتطبيق نظم الإسلام في البلد سواء في العطلة (الأحد) أو اللغة (الروسية) أو الإعلام أو القوانين الأخرى.

وقبلت الحكومة مطالبنا، فـطــلـبـنا من الناس الرجوع إلى منازلهم ، لكن فوجئنا بعد ذلك بنقضهم للاتفاقات ، بل زادوا من الـتـشـديـد على المسلمين ؛ فخرجنا مرة ثانية - ومعنا الأحـــزاب الأخرى التي تنادي بالديمــوقــراطـيـة - وحدثت اضطرابات شديدة أدت إلى اسـتـقالات جماعية للوزراء، وسقط الرئيس ، وتحولت الصلاحيات إلى البرلمان وأغلبه من الـشـيـوعيين ،

وتطورت الأمور سلباً لأن البرلمان استمر في الضغط والتضييق على المسلمين، ووضــعـت المساجد تحت يد الحكومة وكـذلـك الخطباء. فاضطررنا للخروج مرة ثالثة ضد قرارات الـبـرلمان المجحفة واعتصمنا في الـمـيـدان قرابة الشهر، فوافق البرلمان أخيراً على مطالبنا، لكن ظهر أنهم قبلوا فقط ليتفرق الناس، وفـوجئنا في الوقت الذي كنا نستعد فيه للخروج من الميدان بتجمع عدد من الشيوعيين في ميدان مـجــاور مطـالـبين بأمور مخالفة لمطالبنا، وهذا كان من تدبير قادة الشيوعية في البلد، فأصبح الوضع متفجراً خصوصاً بعدما حصلوا هم على أسلحة.

*** كيف أنقذتم الموقف المتفجر في تلك الساعات العصيبة؟**

خطبت في الناس وقلت لهم نحن لا نخشى شيئاً لأن الله معنا، نحن مـسـلـحـون بالإيمان والـثـقـة بالله. وطـمـأنت الناس ، فهدأت النفوس ، وخاف الشيوعيون وظنوا أنه لـديـنـا أسلحة فهربوا من الميدان المجاور.

*** كيف تكونت الحكومة الائتلافية؟**

في البدء انسحب الروس من العاصمة ومعهم الأسلحة، ومع تطور الأمور أوقع الله في قلوب الشيوعيين الرعب، فبدؤوا بالفرار، فاسـتـولـى بعض الشباب - من حزب النهضة - على مبنى الإذاعة والتلفاز بعد معركة قصيرة، وسـقـطـت الـبــلاد بأيــدي التحالف الإسلامي الديمقراطي ، وكونت حكومة ائتلافية ووافق عليها البرلمان (والذي مــا زال شيوعياً).

*** وكيف سقطت الحكومة بعد ذلك ووقعت المأساة؟**

تطورت الأمور باتجاهين داخلي وخارجي ، ففي الداخل أخرج الشيوعيون المجرمون من السجون وجمعوا قواتهم - وهم يملكون في الأصل أسلحة - وبدؤوا بحـمــــلات عسكرية خــــارج الـعـاصـمة. وخارجياً اجتمع الشيوعيون من طاجيكستان وأوزبكستان وروسـيــــا وكازاخستان وقيرغـيـزيــــا، واتفقوا على ضرب الإسلاميين خوفاً من استفحال أمرهم في طاجيكستان ؛ وانتقال الأمــــر إلـى الــدول المجاورة. وفعلاً أرسلت الدبابات والأسلحة الثقيلة، وهاجموا بالطائرات من أوزبكستان ، وساعدتهم القوات الروسية الموجودة أصلاً في المنطقة.

*** حبذا لو أعطيتمونا نبذة عاجلة عن المأساة؟**

الأمر أصـعـب وأشق من أن يصور، فالقـتـلـى بعشرات الآلاف والمفقودون كذلك ، فضلاً عن أكثر من ملـيـون مشرد، لقد دمروا منطقة قـرغــــان تبه حيث معقل حركة النهضة ودمروا القرى وأحرقــوا المساكن والبشر حتى الحيوانات لم تسلم من شرهم ، لقد فعلوا ما لم يفعله جنكيزخان أو هــــولاكو، لم يرحموا صغيراً ولا كبيراً ولا مريضاً، حتى بيوت الله لم تسلم من شرهم. وكان العلماء أشد بلاء، فقد عذبوهم ثم مثلوا بهم قبل أن يقتلوهم.

*** يؤخذ عليكم أنكم دخلتم اللعبة السياسية قبل أن تنضج الحركة؟**

أقولها لك صريحة، أنا شخصياً لا أؤمن باللعبة الديموقراطية، ولنا في التجربة الجزائرية خير شاهد، أنا أريدها إسلامية صريحة، وكنت أقـــول للناس في الميدان ماذا تـــريدون؟ قالوا: نريد الإسلام. وكان الناس يستمعون لقولي ، لـــــو قلت لهم قوموا لقامــوا. بالنسبة للحزب كان هناك رأيان في مجلس الشورى. الأول : هـــــــو التدرج في إعـــلان الحكومة الإسلامية، واستخدام سياسة الخطوة خطوة كي لا نثير الأعـــــداء الشيوعيـيـن علينا مرة واحدة. وكان الرأي الثاني - وكنت من أنصاره - أن الفرصة مواتية والشيوعيين في أضعف أحوالهم والناس تريد الإسلام ، وإن كان ولا بد فدعوا الأمر يـتـنـاطــــح فـيه الشيوعيون والديموقراطيون حتى تحين فرصة مواتية لنا، وساد الرأي الأول ، وأنصاره يأسفون اليوم لما آل إليه رأيهم ويبقى الأمر اجتهاداً منهم لنصرة الدين.

*** ألم يحسب الأخوة في حزب النهضة أي حساب لما قد تؤول إليه الأمور؟**

لم يكن لدينا خيارات كثيرة فقد علمنا - بعد مدة قصيرة من تكوين الحكـومـة الائتلافية - عــــزم الشـيـوعـيـيـن على التحرك ضدنا، ولكنا كنا محاصرين. فالدول المـجـــــاورة كلها شيوعية،ولا يمكن أن نـتـحــرك مـــن خلالها، أما أفغانستان فقد كان الروس يحـرســـون الـحـــدود، وكان من الصعب علينا الـتـحـرك ، ولم تكن لدينا أصلاً أسلحة، وليس لدينا أموال لشرائها.

*** هل من كلمة خاتمة؟**

أقول مـأســاتنا قد علمتموها وتفاصيلها قد نشرت ، ونحن نحتاج من إخواننا المسلمين لكل أنواع المساعدة بالمال والسلاح والدعاء والله لا يضيع أجر المحسنين.

أخبار قصيرة

إسرائيل... والزئبق الأحمر

قدَّم الكسندر روتسكوي نائب رئيس جمهورية روسيا الاتحادية تقريراً بعنوان "من أين لك هذا؟ وأين ذهبت ثروات روسيا؟" جـــاء يـعـرض لكثير من قضايا الفساد والرشوة في البلاد ولكن أخطر ما جاء في التقرير على جميع المسـتـويــات التالي : "منذ عام 1968 والعمل في الاتحاد السوفييتي يجري لتصنيع مادة الزئبق الأحمر" أو "ملح الزئبق " وحسب تقديرات الخبراء فإنه لا يوجد غير مركز واحد في أوربا (سويسرا) قادر على الاستفادة من المادة. واستناداً إلى المعطيات المتوفرة فإن سعر الغرام الواحــد مـن مادة الزئبق الأحمر تتراوح بين 340 أو 380 دولاراً أي أكـبـر بـعـشـر مـــــرات من سعر الذهب. وهذه المادة يستفاد منها لتصنيع: صواعق ذات دقة متناهية للقنابل العادية، تصنيع صـواعق قنابل نووية، تشغيل المفاعلات النووية، تصنيع معدات

وآلات الـكـتـرونية غاية في الدقة، صناعة ورق خاص بطبع النقود، صناعة رؤوس أوتوماتيكية للـصـواريـخ ذات الـدقـــــة الـمتناهية في تدمير الأهداف.... ومن خلال عقود تمت بين شركة "بن صهيون" والإدارة الروسية فقد تم بيع كميات هائلة منها إلى إسرائيل بسعر بخس. حيث أن القرار رقم 87 بـتاريـخ 16 يـنـايـر 1992 أوعز بتسليم شركة "سوفيجزدين " الإسرائيلية 30 كيلوغراماً من مادة الزمرد الخام بهدف تـصـنـيـعه وبيعه في الخارج لقاء بضعة آلاف من الروبلات. إنه هدية للإسرائيليين تزيد قيمتها عن عـشــرة مليارات دولار علماً بأن ديون روسيا بلغت عام 1992م بلغت 12 مليار دولار".

الأسبوع العربي26/4/1993

التقرير-الضجة لم تشـأ أجهزة الإعلام - المحكومة صهيونياً - أن تثيره خاصة في معمعة الأحداث الجارية في أوربــــا الشرقية وإن كانت قد تحدثت بعضها عنه ، كما أنه وجد بعض التغطية في الصحافة العربية. هكذا تخطط إسرائيل "لسلام دائم وشامل مع العرب"!

ساعدوهم لمحاربة التطرف

أكد خبير أميركي في شئون الأمـــن القومي أمس أن العالم العربي "يجب أن يعالج مشاكله الاجتماعية والاقتصادية المتمثلة في الفقر والنمو السكاني الكبير وغياب الانتماء الاجتماعي لمواجهة انتشار الأصولية. وعليه ألا يكتفي بالإشارة إلى خطر هذه الدولة أو تلك لأن معظم الدول التي يشار إلى أخطارها العسكرية لم تعد تملك التجهيزات العسكرية المتطورة لا في أساطيلها الجوية ولا في تجهيزاتها الألكترونية المطلوبة للتفوق في هذا العصر التي تعتمد على التكنولوجيا المتطورة،.

الحياة 8 / 4 / 1993

أصابع الاتهام تشير إليهم

تناقلت الإذاعات والصحف المصرية أخبار حالات الإغماء الجماعي التي أصيب بها مئات الطالبات في المدارس المصرية في منتصف شهر مايو. الأخبار تفيد أن ما يزيد عن خمسمائة تلميذة أصبن بالإغماء والغيبوبة من دون سبب واضح ، وقد خصصت مستشفيات كثيرة في الجيزة والقاهرة والإسكندرية لمعالجتهن وقد أصبحت هذه الحادثة-الظاهرة "لغزاً"! للإعلاميين والتربويين.. كل يدلو بدلوه فيه. وقد تعطلت الدراسة في مدرستين للفتيات في قريتي بويط وفيشان التابعين لمدينة الرحمانية حيث بلغ عدد المصابات بالإغماء والغيبوبة في المدرسة 250 تلميذة. وقد قامت مجموعة من الأطباء والمتخصصين في الأمراض الوبائية واستعين ببعض المعامل الخاصة لـكـشــف غموض حالات الإغماء. وانتشرت مجموعة من القوات المسلحة في المناطق التي تشهد هذه

الحالات واستدعي خبراء في الحرب الكيمياوية من القوات المسلحة المصرية لتحليل الظاهرة.
وقد ألقى وزير الصحة الدكتور راغب دويـدار بـيـانـــاً رسمياً في مجلس الشعب دعمه بالبيانات والإحصاءات عن عدد المصابات وحالاتهن والتـفـسـيـر الـطـبي لهذه الحالات والنتائج المخبرية والعينات التي أخـذت مـن المصابات وأكدت خلوها من أي إشعاعات وفيروسات خطيرة قادمة من الخارج أو مبيدات حشرية أو نفايات ذرية. وقد فسر (السيد الوزير) الظاهرة بأنها: "إما هستيريا جماعية"، أو "حالة نفسية بحتة"!!
ولكن "السيد الوزير" نسي أن يذكرنا بأن هـــذه الحالة والتي ظهرت قبل ذلك بأسبوعين بأعداد أقل تكاد تكون تكراراً لما حدث في مـــدراس الـبـنـات فـي "بير زيت " في فلسطين المحتلة عام 1983م عندما دس خبراء الموساد مواداً كيماوية في خزان مياه الشرب التابع للمدرسة. علماً بأن هذه المواد لا يتأثر بها إلا البنات وفي سن المراهقة وتؤدي إلى إفقادهن خصوبتهن.
والجدير بالذكر أن إسرائيل - والتي امتدت أيديها إلى إفساد قـطـاعـات كبيرة في الزراعة المصرية - تحاول باستمرار تقديم العرب للعالم على أنهم سريعو التكاثر داخل فلسطين مما يعني أن اليهود مهددون بأن يصبحوا أقلية في "بلادهم " لذا يرى الخـبـــراء اليهود بأن إفقاد قطاع كبير من المسلمات لخصوبتهن سبيل لتحقيق أغراضهم.

ليسوا متطرفين!!

انتهى الحصار الذي فرضته قوات الشرطة الفيدرالية الأميركية على مجمع سكني تحاصر فيه مجموعة دينية يرأسهم كوريـش الـذي "يزعـم أنه رســول من الله ، برسالة جديدة محتواها يهودي بإطار مسيحي. وقد قضى (جميع من كان بالــداخــل تقريباً) 95 شخصاً حرقاً بينهم 17 طفلاً بعد أن رفض "سيدهم" الخروج قبل أن تأتيه "رسـالــة من الله ". المجموعة المسلحة بأحدث البنادق قد قتلت خمسة من رجال الشرطة عـنـد محـاولـتـهـم اقـتـحـام الـمـوقع مـنـذ شـهـريـن تقريباً. جميع الذين كتبوا عن الموضوع لم يبرزوا الرجل وجماعته كمتطرفين لأن وصف الـتـطـرف يُـحـتـفــظ به لقضايا المسلمين ورجالاتهم فقط .

من جرَّب المجرَّب

أنهى الحزب الشيوعي التونسي مـؤتمره العام في 24/4/1993 بالإعلان عن "عهد بالوفاء للشيوعية" وتغيير اسمه إلى "حركـــة التجديد" لأن المرحلة - كما يقول رئيسها العام - محمد حرمل : "تقتضي تضافر جهود الديموقراطيين لمجابهة خطر التيارات الأصولية".

إحصائيات

العرب بالأرقام

قدر التقرير العربي الموحد للعام 1992 عـــدد سكان العالم العربي في نهاية عام 1991م بـ 230 مليون نسمة يشكلون 5 بالمئة من عدد سكان العالم. فيما يبلغ عدد العمالة العربية 67 مليون عامل. واعتبر التقرير أن نسبة احـتـيـاطـي الـنـفـط المؤكدة في الدول العربية (1 63 بليون برميل) أي 6206% من الاحتياطي العالمي. وتـشـكـل نسبة احتياطي الغاز في الدول العربية 2402% من الاحتياطي العالمي. وقدر التقرير الـصــــادرات السلعية بـ 119 بليون دولار عام 1991م ، وهي تشكل نسبة 307% من الصادرات الـعـالـمـيـة. فيما بلغت قيمة الواردات 105 بليون دولار تشكل نسبتها 3% من إجمالي الواردات العالمية.

أعلن صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة يونيسيف في كراتشي أن خـمـسـة ملايين طفل مسلم يموتون سنوياً في العالم الإسلامي، وأن ملايين آخرين يعانون من ســوء التغذية التي تترك بصماتها على حياتهم مستقبلاً .

ودعت المنظمة التي تعمل على حماية الطفولة بلدان منظمة المؤتمر الإسلامي إلى تخصيص 20% من موازناتها للتنمية البشرية لتلـبـيـة حاجات النساء والأطفال.

المسلمون في أميركا

عرضت جريدة "هيرالد تريبيون " الدولية في عددها الصادر 8/5/1993 أن عدد المسلـمـيـن في أميركا يتجاوز الـ 4 ملايين نسمة، وأن أعدادهم في تزايد مستمر، ومعظمهم من الـــدول العربية والإفريقية إلى جانب الباكستانيين والهنود..

ويقيم المسلمون في بعض المدن مثل (ديربورن) وسكانها 870000 نسمة يشكل المسلمون فيها 20% منهم.

ويقول التقرير أيضاً أن المسلمين في أمريكا ليس لهم وجود سياسي واضح ولا يشكلون "قــوة ضغط " واضحة المعالم ، ولكنهم على ما يبدو في الطريق إليها إذ أن ذلك يبدو واضـحاً من خلال إنشاء المقومات الأساسية لتكوين أنفسهم ، حيث لهم 165 مدرسة إسلامية.

مصطلحات

القنبلة الإسلامية(*)

وهو تعبير أطلقته باكستان عام 1979م عـلـى الـقـنـبلة النووية الباكستانية المزمع تصنيعها آنذاك. وهذا التعبير كثير الاستخدام في الـعـالـم الغـربي للتحذير من أية قوة إسلامية علماً بأن جميع شعوب العالم - ما عدا المسلمين

- يملـكـونهــا. فالهند لديها مشاريعها النووية وكذلك كوريا واليابان وإسرائيل وجنوب أفريقيا ودول أوربــا وأمريكا ولكنها محظورة على المسلمين.
وقد كان الدافع الأول للمشروع الباكستاني هو التهديد والتحدي الهندي - العدو التقليدي والأول لـبـاكـستان. وقد هددت إسرائيل عشرات المرات وأشارت إلى إمكانية قيامها بتدمير المنشآت النووية الباكستانية للحيلولة دون تصنيع "القنبلة الإسلامية" على غرار مما فعلت عام 1981م عندما قامت بقصف المفاعل النووي العراقي.
فمع أن القانــون الدولي يحرم استخدام أسلحة التدمير الشامل ، وعقدت مئات الاتفاقيات وعشرات المعاهدات إلا أن العالم لا زال يمتلك ذلك السلاح(*) :
- أميركا: لديها ما يكفي لتدمير العالم 21 مرة.
- روسيا: لديها ما يكفي لتدمير العالم 18 مرة.
- فرنسا وبريطانيا لديها ما يكفي لتدمير العالم 5مرات.
- إسرائيل تمتلك 26 قنبلة نووية صغيرة.

الهوامش:

(*) هذه المعلومات حسب إحصائيات قديمة ولدى إسرائيل اكثر من ذلك بكثير.

الملف الإعلامي

إصدارات

من الكتب التي صدرت حديثاً عن أحداث الجزائر، كـتـاب "شــيـوخ وجنرالات؛ الصراع على الجزائر"، أعده فريق من الخبراء العرب ، نشر دار الكتاب الـعـربي ، القاهرة/دمشق ، سنة 1412هـ/1992م ، الكتاب من 200 صفحة من الحجم المتوسط.
جاء في مقدمة الفصل الأول منه : "طويلة هي قصة الصراع بين العسـكـر والدين في أوطاننا العربية، ومعقدة هي فصول هذه القصة ومـتـداخـلـة، وهـــو واقع الحــال مع الجزائر في تاريخها الحديث ، وبخاصة في تجربتها الأخيرة (ديسمبر1991م - ينايــر1992 م) فلقد كان الصراع دامياً ودرامياً بين العسكر والشيوخ ".
والـكـتاب عـبـارة عن سرد للوقائع والأحداث ورصد المواقف ، مدعماً بالوثائق والنصوص، لفترة معينة في الصراع بين الحق والباطل وحتى قبل هلاك "بوضياف "!
وقد قسم الكتاب إلى أربعة فصول هي :
الفصل الأول : رياح الديمقراطية تأتي بالإسلاميين (الجزائر قبل الاستقلال).

الفصل الثاني: مواقف القوى السياسية العربية من الفوز الإسلامي (مواقف ما قبل استقالة "بن جديد") وفيه : أولاً: موقـف الإخوان المسلمين ، ثانياً: موقف الإسلاميين المستغلين، ثالثاً: موقف القوى اليسارية.
الفصل الثالث : الإنقلاب الأبـيـض (الـجــزائـر بعد استقـالة "بن جديد") وفيه : رصد للأحداث الداخلية من خلال الصحف المحلية والـغــربـية، وبيان بعض مواقف قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ مع تصريحات لبعض القيادات العربية. كما يحتوي هذا الفصل على أول رد فعلي رسمي أميركي على أحداث الجزائر.
الفصل الرابع : الدبابات تعود (رصد عام لمواقف القوى السياسية العربية بعد استقالة "بن جديد) وفيها: أولاً : موقف الإخوان المسلمين ، ثانياً: موقــف القوى الإسلامية المستقلة، ثالثاً: موقف القوى اليسارية، رابعاً: موقف قوى رسمية مستقلة. ثم يختتم الكتاب بالنص الكامل للبرنامج السياسي للجبهة الإسلامية للإنقاذ.
وفي الجملة، فإن الكتاب من "أحسن ما في الباب" حالياً، لمن يهمه أمر أمة المليون شهيد، حتى يأذن الله.

صور من تاريخ الطغيان

د. محمد عابد باخطمه

الـتـاريـخ كـتاب عـظـيم الفائدة لمن أراد أن يقرأه ويستفيد من حوادثه كمنهج قرآني . قال تعالى: ((قُـلْ سِــيـرُوا فِي الأَرْضِ فَـانـظُـرُوا كَـيْـفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَذِينَ مِن قَبْلُ))[الروم 42]. وقد استخدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا المنهج في غير موضع.

دراسة التاريخ غزيرة الفوائد ولعل من أهمها:

أولاً: إن الـحـقـائق تصبح ظاهرة.. حيث أن الحادثة وتفاعلاتها ونتائجها تكون معروفة، لذلك يمكن إعطاء الأحكام العادلة على الحوادث المنصرمة.
ثانياً: يصبح في المـقـدور ربـط الحاضر بأصـولـه ، وجذوره في الماضي ، فلا نخدع بالثمرة الحسنة المظهر المرة المذاق من الشجرة الخبيثة الأصل ، وعلى أثر ذلك فإن أحكامنا على الـحـوادث والأمـور الحاضرة ســوف تتسم بالجدية والأسلوب العلمي البعيد عن العاطفة والتخمين.
ثالثاً: يمكننا عند دراسة التاريخ - دراسة واعية - أن نستشف المستقبل، فيصبح خداعنا أمراً صعباً ومستحيلاً، وتكون الخطط المستقبلية - وهي أحد أساسيات تطـــور الشعوب - مبنية على أسس صلبة لا تتأثر بالرياح الموسمية.
إذن التاريخ يخبرنا عن الماضي لنفهم الحاضر ونخطط للمستقبل ، وفي هذه المقالة أريد أن أدرس أمراً واحداً فقط وهو الطغيان لنرى ماذا يقول التاريخ

فيه. والطغيان في اللغة : مجاوزة الحد والتعدي. وعند تطبيق هذا المعنى في الدين يكون الطغيان : التمرد على أوامر الله سبحانه وتعالى ومحاربته سبحانه ، وللطغيان أسس هي :
أولاً : الطاغوت : وهو كل ما يعبد من دون.الله تعالى.. صنم.. رجل.. شجرة.. حزب.. منهج... الخ ،
ثانياً: الطاغية : وهو المؤمن بأحد هذه الطواغيت ، ويجبر الناس على عبادتها مثله ،
ثالثاً: السبيل الذي يسلكه الطاغية للوصول إلى هدفه وقد يكون القتل ". التجويع.. الإغراء.. الخ ،
رابعاً: الأمة الضعيفة.. الجاهلة.. الواهنة.. المترفة.
ويقول لنا التاريخ : أنه لا بد من اجتماع هذه الأصول ، فالطاغوت بدون طاغية لا قيمة له.. والطاغية لا يجبر الأمة العالمة القوية المجاهدة على عبادة طاغوته مهما استخدم من سبل ، وقد تطغى أمة بمجموعها أو قد يطغى فرد واحد، والأمثلة على النوعين كثيرة.

1 - طغيان الأمم :

قوم نوح -عليه السلام- ، قال تعالى ((قَالَ رَبِّ إنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً ونَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إلاَّ فِرَاراً * وإنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ واسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وأَصَرُّوا واسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً))[نوح5- 7].
القوم أبوا إلا عبادة الأصنام وأصروا على ذلك.. قال تعالى: ((وقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وداً ولا سُوَاعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً))[نوح 23]، أعلنوها حرباً صريحة مع الله تعالى، وهنا صدر الحكم،قال تعالى :((مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً))[نوح 25].
إذن اتخذوا طواغيت.. استكبروا وأصروا على غيهم.. أعلنوا الحرب مع الله فأغرقوا وانتقلوا من الدنيا إلى جهنم وبئس المصير.
ثم قوم هود وهم عاد كانوا جبابرة ، قال لهم نبيهم.. قال تعالى :((واذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[الأعراف 169]. وقال تعالى : ((فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً))[فصلت 15]. إذن أعلنوا التحدي لله تعالى بل طلبوا المنازلة..! وهنا صدر الحكم ، قال تعالى : ((وأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً))[الحاقة 6-7].
أما قوم لوط.. فاختاروا طريق الشهوات ونكسوا فطرتهم وأصبح العفاف عندهم جريمة تستوجب النفي ، ألم يقولوا ((أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ))[النمل 56]، ومثلهم قوم شعيب وقوم سبأ.. الخ ، فمما سبق نستنتج ما يلي :

قوله تعالى: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ولَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وهُمْ نَائِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ))[الأعراف 96 - 99].
التاريخ يقول : أن الأمة التي تكثر معاصيها وتطغى لابد وأن تهلك ، ولا ينجو إلا من آمن بالله تعالى، بل إن المؤمن إن لم ينه عن المنكر فقد يهلكه ذلك المنكر الذي لم ينه عنه.
والنوع الثاني من الطغيان هو طغيان الأفراد، ومن أمثلة ذلك إمامهم وقدوتهم فرعون الذي أُعطي كل دعائم القوة..... الشباب.. السلطة.. الفصاحة.. المال.. الجيوش.. الأراضي.. القصور.. العبيد، ومع ذلك كله كان عنده قومه إنهم كانوا قوم سوء فاسقين لأنهم مهدوا له طريق الطغيان ، كل هذا جعله يقول لهم : ((أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى)) فأماته الله شر ميتة مع جنده ، وهو في أوج مجده ، وقارون كان فقيراً معدماً فـآتـــاه الله علماً در عليه المال فلم يحمد الله على ذلك.. فخسفت به الأرض وهو يمشي متبختـراً بين قومه. وكسرى.. كان أقوى ملوك الدنيا في عصره ولكنه باستخفاف الطاغية لم يحترم رسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بل مزقها، فمزق الله ملكه. وأبو جهل لقي نفس المصير.. لقد ماتوا شر ميتة وهم في أوج تغطرسهم.. وفي عصرنا الحاضر ماذا كانت عاقبة هتلر.. جنرالات إسبانيا.. ماذا حصل لتشاوشيسكو.. المصير واحد والمعادلة معروفة الطغيان يؤدي إلى الهلاك.. التاريخ يقول لنا أن الطاغية يصل إلى أوج مجده ثم بسرعة جداً يسقط إلى الحضيض ، ومن لا يعتبر فالسنة الربانية لا تتغير.
وما هو حال من يطغى في وسط أمة صالحة؟ الجواب : هو مـــا حصل لصاحب الجنتين الذي قال لصاحبه وهو يحاوره : ((ومَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ولَئِـن رُّدِدتُّ إلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً))[الكهف 36]، أحرقت جنته وأصبح يعض أصابع الندم. الحقيقة التي لا تقبل الجدل هي قوله تعالى : ((فَأَمَّا مَن طَغَى * وآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى))[النازعات 37-39]،.
إن العودة إلى الله تعالى وترك المعاصي هي سبيل النجـــــاة الوحيد للأمم والأفراد، ووقوع الكوارث والمصائب لا يكون إلا عندما تكثر المعاصي، ولا ترفع إلا بالتوبة إلى الله عز وجل.
وباختـصــار إذا أرادت أمة أن تطغى.. أو أراد فرد أن يطغى فلتبحث تلك الأمة.. أو ذلك الفرد عن ملـكـوت غير ملكوت الله تعالى، أما في ملكوته فهو وحده الجبار المتكبر سبحانه وتعالى..

بريد القراء

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

*** من الأخ سليمان عبد الرحمن العبيد وصلتنا قصيدة "كم وكم " نختار منها بعض الأبيات:**

يا من لـه الأولى وحـكم الآخـرة ربَّ الـعـشـيـة والضحى والهاجرة
يا رب نسألك الـنجاة جراحـنا من كسب أيدينا الضـعـيـفة غائــرة
يا رب نسألك الـثبات عـقـولـنا من كيد صهيون -الخيانة- حائـرة
ولـقـد علـمـنـا لا مـحـالة أن في يــومٍ تـــدور على الـيهود الـدائـرة
كـم سـاجد جاؤوه وقت سجوده عَـدْواً بمـطـرقـة الحـديـد الـكاسرة
وجـمـاعـة تـدعـو بمسجد ربها مَلأتْ سـجـون الـظـالـمـين الجائـرة
هذي المساجد معقل الإرهاب بل هـذي وصـايــا "أورشـلـيم" الـكـافرة

*** الأخ سعد الحمدان**

نشكرك على عواطفك النبيلة، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

*** الأخ بدر الربدي**

نتيجة بحـــوث الـمـسابقة خاصة بالمجلة، ولا نستطيع في الوقت الحاضر توزيع هذه البحوث، وقد طبع البحث الأول على حساب مؤلفه.

*** الأخ زين بن حسن يماني**

ملاحظاتك حول الأخطاء المطبعية سيتم التنبه إليها. جزاكم الله خيراً على نصائحكم.

*** الأخ إبراهيم المزيني**

يدعو لمناصرة المسلمين في كل مكان، وجـمــع التبرعات لنصرة قضاياهم ويخص المنتدى الإسلامي بذلك.

*** الأخ عمر كوري**

سوف تصلك مستقبلاً إن شاء الله أعداد البيان كاملة.

*** الأخ عبد الرحمن عبد اللطيف**

اقتراحاتك وملاحظاتك نرجو التفاهم حولها مع أقرب مكاتب المجلة إليك.

*** الأخ خالد يوسف**

اقتراحاتك موضع عناية واهتمام من أسرة تحرير المجلة.

*** الأخت حصة البازعي**

موضوع السنن الربانية: هـنـاك رسـالــة دكتوراة في الموضوع من جامعة أم القرى ويمكنك الرجوع إلى تفسير (المنار) للشيخ رشيد رضا.

*** الأخ عبد العزيز التويجري**

نشكرك على ثقتك بمجلة البيان ، وبالنسبة لطلبك فإنه يتعذر الآن.

*** الأخ محمد سليمان آدم**

نرحب بك قارئاً للمجلة ونحن نستقبل جميع الكتابات حول شؤون العالم الإسلامي..

*** الأخ جمعان الزهراني**

نوافقك على ما جاء في رسالتك ونرجو أن نكون عند حسن ظنك.

*** الأخ محمد أبو عزام**
أرسل نداءً خاراً للمسلمين داعياً إياهم للوحدة والاجتماع على منهج أهل السنة والجماعة.
*** الأخ عثمان الخنين**
يطرح قضية هامة وهي تعرية رؤوس الشر والفساد والتخريب في الأمة وفي الساحة الثقافية على وجه الخصوص ، ويدعو الكتاب والمفكرين للمساهمة في هذا الموضوع.
*** الأخ محمد ابكر طبيقي**
نشكرك على ثقتك بالمجلة، أما عن وصول المـجـلــة إليك كما ذكرت في رسالتك فهي خارجة عن إرادتنا تماماً.
*** الأخ سليمان السنيدي**
ملاحظاتك حول بريد القراء واقتراحاتك بشأن المقالات محل دراسة وشكراً لك.
*** الأخ عبد الله بن عبد اللطيف الحميدي**
أرسل لنا رسالة يبدي فيها إعجابه بقصيدة الأخ د. محـمـد وليد في العدد 61 وكان له بعض الملاحظات التي طلب منا إرسالها للشاعر.
البيان : ونشكر لك اهتمامك وملاحظاتك المهمة سنحقق رغبتك إن شاء الله.

شذرات وقطوف

دعاء

"اللـهـم قـد أطـغـاهـم حـلـمـك وتـجـبـروا بـأمـانـك حتى تـعـدوا عـلـى المسلـمـين بـغـيـاً، اللـهـم قـلّ الـنـاصـر، واعـتـز الــظــالــم ، وأنـت المـنـصـف الـحـاكـم، بـك نـسـتـعـين وإلـيـك نـهـرب من أيديهم، اللهم إنَّا حاكمناهم إليك، وتوكلنا في إنـصـافـنا منهم عليك، فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين ".

حنين إلى العدل

أبو العلاء المعري

يـكـفـيك حزناً ذهاب الصالحين مـعـاً   وأنـنـا بـعـدهـم في الأرض قُـطّـَان
إنّ الــعــراقَ وإن الــشــام مـن زمــن صـفْـرانِ مـا بـهـمـا للعدلِ سلطانُ
ســاسَ الأنـام شــيـاطـيـنٌ مُـسَـلّـطَـةٌ   فـي كـلّ قُـطْـرٍ من الوالين شَيطانُ
مـتـى يـقـومَ (زعـيـمٌ) يـسـتـقـيدُ لنا؟   فـتـعـرف الـعدل أجيال وغيطان!

حب الرئاسة

"وهلاك من هلك من الأمم فيما سلف بحب الرياسة وكذلك من يهلك إلى انقضاء الدهر فبحب الرياسة".
رسالة بين العداوة والحسد، الجاحظ 369
***
"ولا يقتل النبوغ شيء كالعمل في هذه الصحافة بطريقتها، فإن أساس النبوغ (ما يجب كما يجب) ودأبه العمق والتغلغل في أسرار الأشياء وإخراج الثمرة الصغيرة من مثل الشجرة الكبيرة بعمل طويل دقيق ، أما هي (الصحافة) فأساسها (ما يمكن كما يمكن) ودأبها السرعة والتصفح والإلمام وصناعة كصناعة العنوان لا غير".
مصطفى صادق الرافعي ، الرسالة 5/244

آفة المزاح

قال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء، ويجرئ عليك السفهاء، وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين، ولكن الاقتصاد فيه صعب جداً، ولذلك تحرَّج عنه أكثر الحكماء لأنه مقطعةٌ للإخاء مسلبةٌ للبهاء.
***

أقوال

"لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يُعطي منه حقه، ويكف به وجهه عن الناس".
سعيد بن المسيب ،سير 4/238
"إن الحق لا ينقلب باطلاً لاختلاف الناس فيه، ولا الباطل يصير حقاً لاتفاق الناس عليه".
العامري 192

الصفحة الأخيرة

أذكرتنيهم الخطوب التوالي

حسين بن علي الذومي

ما زالت صورة أولئك الرجال ترتسم في ذهني بقوة .. صورة الرجال الذين لبسوا أكفانهم ترحيباً بالموت فى سبيل الله.. وحملوا أرواحهم على أكفهم.. يرفعون كتاب الله.. ويهتفون بصوت مجلجل: الله أكبر، ولم ينسوا أن يكتبوا وصيتهم قبل مسيرتهم.. (مسيرة الموت)!!
لله درّكم يا رجال (مرج الزهور).. لقد ذكرتمونا رجالاً كدنا أن ننساهم في خضم أحداث الحياة.. ولم يغفلهم تاريخنا المضيء.. لم ينس من كتبوا التاريخ

لإبائهم ودمائهم.. لم ينس نور الدين وصلاح الدين وعز الدين.. وكل من نصر الدين.

هـا أنـتـم تـعـيـدون الأمـل إلـى الـقـلـب من جديد.. لتحيوا العزة والإباء فلكم منا كل شكر وعرفان.. ولا نملك لكم إلا الدعاء! نقول ذلك وقد وضعنا أيدينا على وجوهنا حياء وخجلاً منكم.. لأننا نعيش في زمن الضعف.. نرجو منكم أن تتقبلوا أعذارنا غير المقبولة!

بينما أنتم تستنفرون حماسنا.. نسلّم خانعين معقلاً من معاقلنا في (البوسنة والهرسك)..

هـا قـد سقطت مدينة (سريبرينتسا).. فهل حدث ما يحكونه فعلاً عن سقوطها؟! بعد إقامة المجازر البشعة بأيدي الصليبيين !!

نـحـن لـم نُـفِـق مـنـذ سـقـوط الأندلس (الفردوس المفقود).. وحتى الآن فما زلنا نعيش على ذكـراهــا .. فـهل لدينا الطاقات الفكرية التي تغطي رثاء المدن الإسلامية التي بقيت لنا في أوربـا؟! .. مع الأسف.. حتى الرثاء لم نعد نحسن صنعته.

ولا يكاد يلتئم جرح في أمتنا .. إلا وتتلوه عشرات الجراح الـحـديـثـة .. ولا تـقـف حدود المجازر عند الجراح بل تستأصل الأطراف!!

وبـدلاً من انـشـغـال إعـلامـنـا بـإيـجـاد حلول لمداواة آلامنا ومتابعة قضايانا.. فإنه انشغل بمسرحية ما يُسمى (الإرهاب الأصولي)!!

يـقـول رئيس تحرير أحد المجلات العربية: لا غرابة في أن يكون أكثر حديثنا عن قضية (الإرهـاب الأصـولـي) فهو حديث اليوم وحديث الغد!

فـإلـى هـؤلاء - العملاء الخونة - نقدم التعزي بعد أن خذلوا الأمة، وزادوا المسلمين ذلة ومـهانة في الأرض.. وطبقوا المشروع الصهيوني الأميركي بحذافيره.. حذو القذة بالقذة!! ونبشرهم بأن دماء إخواننا خارج الحصون وداخلها.. ستكون سيلاً جراراً يكتم أنفاسهم.. ويكسر أقلامهم.. وسيأتي أولئك الرجال الذين إذا دعُوا هبّوا.. وإن دوى النفير أغاروا..

تمت بعون الله ولله الحمد
